

❁ فلسفة الأخلاق بين النظرية والتطبيق

محمد عبد الله دراز و هانس كينغ Hans KUNG نموذجاً

Ethics between Theory and Practice: Mohamed Abdallah DRAZ and Hans KÜNG in an example

د. أ. د. شافية صديق

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية بخروبة (الجزائر)

c.seddik@univ-alger.dz

تاريخ النشر: 2024/09/15

تاريخ القبول: 2024/09/05

تاريخ الإرسال: 2024/08/31

ملخص:

تنوعت المنظومات التي تقنّن حياة الإنسان، فهناك تشريعات تنظّم حقوق وواجبات أفراد الأسرة، وأخلاقيات الطبيب، وقوانين المرور، وآليات التقاضي، وغيرها من باقات توجه سلوك الإنسان في تفاصيل حياته مدجّجة بآليات العقوبة عند الإخلال بها.

أصبح الانسان يعيش أسير هذه القيود التي ظاهرها ضبط التعايش بين البشر بما يحفظ لكل واحد حقوقه ويلزمه بواجباته، وباطن الأمور تحويل الإنسان إلى كائن مبرمج قد يقع ضحية طفله العاق المتمرد الذي يلجأ للقوانين، هروباً من ضوابط التربية الأسرية، وقد يكون الإنسان ضحية سوق الوسائط الجديدة التي تستبيح خصوصيات الإنسان، فتهدم حياته التي تتحوّل إلى مجرد بضاعة بقيمة تداولية.

ورغم وجود مدارس أخلاقية وجدل فلسفي حول مبادئها ومخرجاتها، فإن عدم الاحتكام إلى مرجعية ثابتة كأسس يقينية، جعل الجدل أقرب إلى تجاذب أناني ينتصر للذات والمزاج، وليس للحق والخير؛ دون أن يعني هذا التوصيف الغياب الكلي لواحات تنعش القحط وتبشّر بالحياة المستقيمة: حياة فطرة الله المعصدة بمبادئ أديان سلمت من التحريف، وتحوّل بعضها بسلاسة إلى شرايين التفكير السليم والحكمة المستقيمة.

المسلم يبحث عن أصداء الفطرة السليمة والميراث النبوي الموزع بالعدل بين كل الأمم عبر بقاع الأرض وأزمة الوجود، فهو أحق بكل بهذا، بل فرض تثبته الرسالة الخاتمة المتممة لمكارم الأخلاق. ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَاقِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30)

فجاء الاختيار على علمين رفعا شعار الذود عن الفطرة والاستقامة العقلية: "محمد عبد الله دراز" و "هانس كينغ". كل من خلفيته الدينية، وسيدو واضحا التوازن خلفية ومخرجات لدى العالم المسلم، بينما استنزفت قوى اللاهوتي الكاثوليكي في صراعات عقدية مع رأس الكاثوليكية. الكلمات المفتاحية: الأخلاق، عبد الله دراز، هانس كينغ. الكلمات المفتاحية: الأخلاق؛ محمد عبد الله دراز، هانس كينغ.

Abstract:

The systems that codify human life varied, as there are legislation that regulates the rights and duties of family members, the ethics of the doctor, traffic laws, litigation mechanisms and other bouquets that direct human behaviour in the details of his life armed with the punishment mechanisms when breaching them.

Man has become a prisoner of these restrictions, which is apparent in controlling coexistence between human beings in a way that preserves each one of his rights and obliges him to his duties and the interior of things to transform the human being into a programmed object that may fall victim to his rebellious child who resorted to laws to escape the controls of family education.

A person may be a victim of the new media market that permits the peculiarities of a person and destroys his life, which turns into a mere merchandise with a deliberative value.

Despite the existence of ethical schools and philosophical debate about their principles and outcomes, the lack of resort to a fixed reference with certain foundations made the controversy closer to a selfish attraction those triumphs for the self and the mood and not for truth and goodness. This description does not mean the total absence of oases that refresh the drought and herald the upright life: the life of God's nature, supported by the principles of religions that were free from distortion and some of which were smoothly transformed into the arteries of sound thinking and straight wisdom.

A Muslim searches for the echoes of sound instinct and the prophetic inheritance distributed by justice among all nations through the parts of the earth and the times of existence, it is more worthy of this, but rather the obligation to prove the conciliatory message that complements the honors of morals.

"So direct your face toward the religion, inclining to truth. [Adhere to] the fitrah of Allah upon which He has created [all] people. No change should there be in the creation of Allah. That is the correct religion, but most of the people do not know".(Q.S.Ar-Room: Verse 30)

The choice came down to two scholars who raised the slogan of defending common sense and mental integrity: Muhammad Abdullah Daraz and Hans King.

Keywords: Ethics; Muhammad Abdullah Daraz; Hans KUNG.

مقدمة

المواضيع الفلسفية تتجاذبها الخلفيات الدينية والأيدولوجية والسياسية وحتى المزاجية، وأمام كل رأي فلسفي آراء تخالفه أو تسحب منه التوصيف الفلسفي، لذلك تعددت المذاهب عبر العصور وفي العصر الواحد وحتى في البقعة الواحدة.

والأخلاق في تعريفها المبسط المتداول: هي القيم التي يُستند إليها في توجيه السلوك البشري في مختلف مستوياته: ألم يقل سيد الأولين والآخرين محمد عليه الصلاة والسلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق". (صحيح مسلم). هذه فلسفة حياة تضع للإنسان طريقه السليم ليعيش وقتاً لفطرته.

أما في تاريخ الفلسفة فالمصادر والمراجع متاحة، تعرض تضاريس الفكر الأخلاقي كما اختار المؤلفون عرضها في غالبيتها بمعزل عن الأديان وبالتنكر للفطرة، كأن الأخلاق موضوع اخترعه الفلاسفة وليس فطرة في الإنسان واختيار حرّ له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9)

بإمكان أي باحث أن يرص فقرات من تلك المصادر والمراجع فرحاً بأنه أنجز عملاً وهو ناقل لا متفحص، وحاطب ليل يعرض حياته الروحية والعقلية للمسح الذي أريد له أن يستشري.

الدراسة هدفها التحرّر أولاً من هذا الأسر حتى وإن تطلّب ذلك القراءة المستمرة والمتنوعة وأحياناً النتيجة: عود على بدء.

غير متاح للباحث غير المسالك المعتادة.

فجاء اختيار منهجي بناء على الاعتبارات السابقة بضرورة البحث عن نماذج اجتهدت لكسر حواجز يُحال بها بين المرء وقلبه وعقله. كان الاختيار هو فلسفة الأخلاق والمؤمنون مطالبون باقتحام أسوار هذه القلعة المعلمنة المحتفى فيها بالملحدين كرموز لحرية الإنسان.

والشخصيتان المختارتان هما:

أولاً: عالم مسلم بدأ حياته بالقرآن الكريم وعاش له، ومات وهو يدافع عنه في محفل علمي دولي، كتب عن النبأ العظيم وأسّس لرواق علمي جديد هو فلسفة الأخلاق في القرآن الكريم؛ من أجل ذلك درس وحلّل وانتقد الفكر الأخلاقي في الغرب وما يقابله في التراث الإسلامي بحثاً عن الأصالة والعمق.

أطّر بحثه مستشرقون وناقش بحثه في أحد أبرز مراكز الاستشراق والفكر الأخلاقي الغربي، وكان عليه أن يتفوّق على الصعيدين: الغربي والتراث الإسلامي .

رحلته اثباتاً عملياً بأن القرآن الكريم كتاب هداية، صالح لكل زمان ومكان، وعلى المؤمنين استخراج كنوزه دون توقّف لأن أسرارها لا تنضب.

ثانياً: الشخصية الثانية هو رجل دين وعالم لاهوت كاثوليكي من الصفّ الأوّل، انتفضت فطرته ضدّ بعض معتقدات الكنيسة فكان الغضب الكنسي عليه، وفي عمق أزماته مع القائمين على الكاثوليكية العالمية فكّر في أنّ العالم يتّجه إلى حتفه إذا لم يتحالف المتديّنون عبر العالم ومن مختلف الخلفيات للحفاظ على المبادئ الموافقة للفطرة السليمة، واستبعد إدخال العقائد في هذا التحالف، لأنّ تجربته مع الصّراع المذهبي في المسيحية وصراعه الشخصي مع الفاتيكان في أمور عقديّة أثبتا له أنّ التحالف العقدي غير واقعي.

اختيارات هذه الدراسة إذن هي أساساً تأييداً لفكرة أنّ التدين فطري في الإنسان، وأنّ الفطرة السليمة التي أودعها الله في البشر بالتساوي والعدل تلتقي مع الدين في نصرته الفضائل واستقبال الرذائل.

يبقى بعد هذا على أصحاب الدين الحقّ أن يستثمروا هذا التحالف للقيام بواجبهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفلسفة الأخلاقية وسؤال التشييت:

هناك إشكاليات متشعبة في مداخل تعريف مصطلح الأخلاق ابتداء من المرادفات والمصطلحات المقاربة إلى العلوم التي تختص بها، إلى العلماء الذين يصنفون حصرياً مرتبطين بهذا المجال.

وبالاطلاع على كثير من المصادر والمراجع، هناك اتّفاقات واختلافات في جزئيات أحيانا رئيسية بين التعريفات وبين الإجابات الضمنية عن كل العناصر السابقة.

على العموم حدّدت مباحث الفلسفة في ثلاث:

1-مبحث الوجود *ontologie*: البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في الطبيعة والعالم. النظر فيما إذا كانت هذه الأحداث الكونية تقوم على أساس قانون ثابت أو تقع مصادفة واتفاقا، وفيما إذا كانت هذه الأحداث تظهر من تلقاء نفسها أو تصدر عن علل ضرورية، وفيما إذا كان هناك إله، أو إذا كان الوجود ماديا صرفا أو روحانيا خالصا أو مزاجا بينهما.

2-نظرية المعرفة *épistémologie*: البحث في إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته، وما هو في وسع الإنسان أن يدرك الحقائق أم أنّ قدرته مثار شك"، وإذا كانت المعرفة البشرية ممكنة، فما حدود هذه المعرفة وهل المعرفة ترجيحية أو يقينية، وما منابع هذه المعرفة وأدواتها: هل هو العقل أم الحسّ أو الحدس وما طبيعة هذه المعرفة وحقيقتها.

يطلق ما بعد الطبيعة " الميتافيزيقا " على مبحثي الوجود والمعرفة بمعنى البحث في الوجود من خلال نظرية المعرفة.

3-مبحث القيم *axiologie*: يتعرض للمثل العليا والقيم المطلقة وهي الحقّ والخير والجمال من حيث ذاتها لا باعتبارها وسائل، وهل هي مجرد معاني في العقل أم أنّ لها وجودا مستقلاً عن العقل الذي يدركها. (الطويل، 1997، ص.27).

ولتبيان الفهم المبسّط لمصطلح القيم، اختار البعض اعتبارها البحث فيما ينبغي أن يكون عليه تصرّف الإنسان. وتصنف القيم عموما في ثلاث فئات:

الحق: بالارتباط بعلم المنطق، مع هدف البحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم.

الخير: بالارتباط بعلم الأخلاق، مع هدف البحث فيما ينبغي أن تكون عليه تصرّفات الإنسان والمثل العليا.

الجمال: بالارتباط بعلم الجمال، مع هدف البحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل. (عبده، 1999، ص.14).

قام فلاسفة الأخلاق، تأسيساً بما فعله القائمون على العلوم المادية، بمحاولات التقنين المنضبط على مقاييس متعالية على خصائص الإنسان المتنوعة فقد: تصوّروا الأخلاق بصورة علم معياري يحدّد السلوك الفاضل وما ينبغي أن يكون: فلسفة الأخلاق. (الطويل، ص.28)

كما بُنيت حول موضوع الأخلاق مداخل علمية ومنهجية نظرية وتطبيقية، للوصول إلى أقصى مستويات فهم وحصر وتحليل السلوك الأخلاقي البشري، مادامت حياة الإنسان هي أساساً علاقات اجتماعية تحدّد اتجاهاتها سلوكيات الأفراد.

فلسفة الأخلاق هي أحد تلك المداخل، وهي هيكلياً فرع في الفلسفة المكرّس لدراسة السلوك البشري، وتوضيح ما هو صواب وما هو خطأ، وهي تحليل سلوك الناس والتفكير في تلك الإجراءات أو المواقف التي قد تكون ضارة، أو التي لها آثار قد تؤثر على كرامة أو حياة كائن آخر. من حيث المضمون والاشكالية المركزية، فلاسفة الأخلاق حاولوا تقديم تصوّر عن الأخلاق في صورة علم معياري يحدّد السلوك الفاضل وما ينبغي أن يكون.

سنجد في المراجع عدم وضوح الحدود التعريفية والمعلّية لكل من:

علم الأخلاق. فلسفة الأخلاق. الفلسفة الأخلاقية.

وللخروج من هذا الإشكال يجب على الباحث اختيار عنوان محور دراسته، مع تعريف دقيق يصون بحثه من الانزلاق إلى حواف متشعبة.

يقول أحد الباحثين: " إذا كانت الأخلاق الفلسفية هي العلم المعياري الذي يحدّد لنا السلوك الفاضل، وهو ما ينبغي أن يكون، فإنّ الأخلاق الفلسفية أيضاً هي فلسفة علمية تمكّن الإنسان من التّفاذ إلى القيم، فهي لا تلقننا بعض الأحكام الجاهزة وإنّما تعلّمنا دائماً كيف نحكم، وذلك حين توجّه انتباهنا نحو العنصر الإبداعي في الإنسان، وحين نخنّن دائماً على اتّخاذ القرار، وحين تدعونا إلى التصرّف تصرفاً أصيلاً مبتكراً حسبما تقتضيه الظروف والملابسات. (عبد الوهاب، 2013، ص.6).

هناك اختيارات منهجية يتبناها دارسوا المباحث التي ترتبط بموضوع الأخلاق من كلّ الجوانب، لا تلاقي دائماً الإجماع وأئى لها ذلك وكلّ العلوم الإنسانية والاجتماعية تقف عند سقف النسبية والموضوعية غير المحققة والحياد العصي.

فلاسفة الأخلاق في عمومهم أرادوا تحديد تصوّر عن الأخلاق ضمن معالم علم معياري (يتكرر هذا الهدف لديهم دون كلل) يبيّن السلوك الجيد والفاضل، وتبيان أيضاً ما ينبغي أن يكون، ولتيسير ذلك قسّموا الأخلاق إلى أنواع ثلاثة رئيسية:

1- الأخلاق الفوقية: تدرس جذور ومرجعيات الأسس والمبادئ الأخلاقية وتطوّرها، وارتباط هذا التطّور بالبيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وغالب الاتجاه في هذا النوع هو التعريفات الخاصة بالمفاهيم المركزية في الأخلاق كالفضيلة والخير والشر.

2- الأخلاق المعيارية: يكون الاهتمام في هذا النوع من الأخلاق بالأسس والمعايير التي تقاس بها السلوكيات.

3- الأخلاق التطبيقية: يكون فيها الاهتمام بتنظيم سلوكيات ونشاطات الأفراد في مختلف المجالات كالحياة العسكرية والحياة التعليمية والحياة الطبية وغيرها. (déontologie) (مرحبا، زيغور، ص 17) اختار البعض الآخر مدخل: علم الأخلاق " la morale " باعتباره علم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفة الأخلاق " éthique " أو الحكمة العملية أو الحكمة الخلقية، ولمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة، وقد تكلم الفلاسفة على طبيعة الوجدان والضّمير وطبيعة الخير والعدل والواجب والحب، وبنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصوّروها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة (مرحبا، زيغور، ص 50).

المدخل التاريخي الوصفي هو أيضاً اختيار منهجي، لكن من تبوّه في الغالب اعتمدوا المركزية الأوروبية، فجاء تحقيهم انعكاساً لبيئتهم كما فعلوا في غالب مؤلفاتهم التاريخية؛ قسّموا تطّور الفلسفة الأخلاقية إلى:

1. مرحلة الفلسفة اليونانية.

2. مرحلة العصور الوسطى.

3. مرحلة عصر النهضة.

4. مرحلة الثورة الصناعية.

5. مرحلة العصر الحديث.

6. مرحلة عصر ما بعد الحداثة.

يلاحظ أنّ التقسيم متطابق مع التاريخ العام، فهل المقصود أنّ الأخلاق كانت تطبع التاريخ ببصمتها أي اتجاهها العام، أم أنّها لم تكن إلاّ رجوع الصّدى للقوى التي تغيّر التاريخ وأساسا القوى الماديّة والسّياسية.

يمكن القول أيضا أنّ المرحلة الإسلاميّة في هذا التّحقيب تقع في الطّور الثّاني أي العصور الوسطى، وحتى إن كان الغرب يعتبره مظلما باعتبار سيطرة الكنيسة، فمن حقّنا التّحقّق من الخلط بين انحراف الكنيسة وظهور دين سماوي. ومعلوم أنّ أغلب كتب التاريخ في الغرب يكتبها من يناسب الدّين العداء. كما يمكن الإشارة إلى أنّ الانتقال من حقبة إلى أخرى يتأثّر حتى وإن كان ذلك بطرق غير مباشرة بقوة الواقع ب:

1. الدين معتقدات وتشريعات وقيم ومذاهب قبولاً أو رفضاً أو تحريفاً.

2. الظروف السّياسية.

3. الظروف الاجتماعيّة.

4. الظروف الفكرية والفلسفية.

ورشة رسم الخرائط المفاهيميّة لتضاريس مصطلح الأخلاق وما ارتبط به تبقى مفتوحة أمام الباحثين، يحدّد مدى دقّتها عمق الإشكالات المرتبطة بهذا الحقل، لذلك التّعريفات هي مسالك اضطراريّة لكنّها يجب أن ينطلق فيها الباحث وهو مدرك للخلفيّات السّابق توضيحها.

بحثا عن التعريفات الاجرائية:

في موسوعة لالاند نجد: " أخلاقي يعني معنوي وعقلي، أي ما يتعلّق بالآداب والقواعد السلوكية المسلم بها في عصر في مجتمع معين."

وفي معجم جميل صليبا: " الأخلاق في اللّغة جمع خلق، وهو العادة والسّجيّة والطّبع والمروءة والدّين. وعند القدماء: ملكة تصدر بها الأفعال عن النّفس من غير تقدّم روية وفكر وتكلف، فغير الرّاسخ من صفات النّفس لا يكون خلقا كغضب الحكيم، وكذلك الرّاسخ الذي تصدر عنه

الأفعال بعسر وتأمل كالبحيل إذا حاول الكرم. وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس، محمودة كانت أو مذمومة، فنقول فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق (صليبا، 1988، ص.19).

كثرة التوصيفات في تعريف جميل صليبا مستمد من تراثنا السخي في مسالك الاسترسال حسب تقاليد الكتابة قديما وفي كتابات المتمسكين بهذه التقاليد.

الأخلاق والحلق والسلوك والعادات والآداب وغيرها من المصطلحات، يتم استخدامها أحيانا كمتضادات، والبعض يحاول البحث عن جذور الكلمة عسى ذلك يختصر عليهم الطريق لرسم معالم تعريف يقترب من الشمولية والإجماع.

يورد البعض أنّ معنى الأخلاق " la morale " هو التعود على الشيء: maos وهي مشتقة من اللفظ اللاتيني " morals " و " ethics/Ethos " مشتقة من اليونانية معناها سكن أو كرسي، والمعنى يشير إلى الثبات أو الاعتقاد في السلوك.

يرى المختصون في فلسفة وعلم الأخلاق أن هناك ستة أنواع من الأنساق الأخلاقية المنطلقة من هذا التأصيل هي:

العلم الوضعي للأخلاق: يصف المعايير الأخلاقية للناس في المناطق المختلفة وطبقا لتنوع سنوات العمر.

العلم المعياري للأخلاق: وهو الذي يقرر صحة المعايير الأخلاقية.

الفلسفة الأخلاقية: تبحث صحة تلك المعايير من خلال موضعها في إطار كليّ عام.

علم الأخلاق التطبيقي: يطبق المعايير الأخلاقية الصحيحة على حالات عينية جزئية.

التهذيب الأخلاقي: يستهدف تحسين السلوك. (فنّ مزاوله الحياة الصالحة). (وليام، ص.35)

هذا يشبه ما سبق ذكره أعلاه، وهو دليل على الانزلاق الاصطلاحي والمفاهيمي عند تناول مواضيع تشابك عندها الرؤى.

وفي تعريف آخر يربط التعريف بالعلم: وما يلي نموذج لتداخل حدود التعريف مع حدود الأبعاد، فتأتي كثافة في العرض وتفريع مريب للباحث غير المتمرس:

" المقصود بالأخلاق معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتركو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها. وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. ولقد تكون علم الأخلاق منذ العصر اليوناني القديم في مقابل الطبيعيات، ولمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة تحدث الفلاسفة عن طبيعة الوجدان والضّمير والواجب والخير والعدل... إلخ، وبنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصوّروها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة. والأخلاق التّسببية هي مجموع قواعد السلوك الخاصة بمجتمع معيّن في زمان معيّن، والتي تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى آخر. أمّا الأخلاق المطلقة فهي مجموع قواعد السلوك الثّابتة التي تصلح لكلّ زمان ومكان، والأخلاقي "MORAL" هو المنسوب إلى الأخلاق وإلى قواعد السلوك المقرّرة في زمان معيّن، أمّا اللاأخلاقي "immoral" فيطلق على السلوك المناقض للأخلاق، وأخيرا فقد فرّق الفلاسفة بين الأمر الأخلاقي والأمر الذي هو بمعزل عن الأخلاق "amoral" كسلوك الحيوان الذي هو سلوك محايد لا يوصف بأنّه أخلاقي أو لا أخلاقي. (سعيد، 1994، ص.23).

يجب التّديق الجيّد مرّة أخرى في فيض المرادفات والأفكار المتشابهة لتعقّد طريق الوصول إلى مرفأ الوضوح والرّؤية الشّاملة الجامعة والجمع عليها.

الفلسفة عند اليونان كانت أم العلوم وكانت الأخلاق أحد أبنائها الشرعيين، وعندما تفرّقت العلوم تفرّقت علم أو فلسفة الأخلاق.

محاولة تقديم مفاتيح التعريفات بإبراز التشابك مع مكّونات حقل دراسة الأخلاق هو أيضا اختيار منهجي كما هو الحال مع التّمودج التالي:

تعريف علم الأخلاق اجرائيا يعنى بدراسة السلوكيات الأخلاقية وقواعدها وشرحها، فإنّ فلسفة الأخلاق أقوم بالبحث والتّقصّي وراء الأسباب العقبية والمعرفية التي دفعت باتجاه، تكون تلك القواعد لدى شعب أو مذهب معيّن، وكذلك الأسس والمسوّغات لتكون تلك القواعد الخلقية لديهم مجموعة النّصائح والقواعد السلوكية لا تعبّر عن فلسفة الأخلاق، ففلسفة الأخلاق مهمّتها الحفر وراء هذه النّصائح ومعرفة الأسس التي تركز عليها أي المبرّر العقلي للفضيلة والرّذيلة. (امام، ص.18).

يمكن القول عن هذا التعريف أنّه نموذج لمحاولة تقديم تعريف بإملاءات مسبقة.

هذه نماذج من المحطّات الضرورية لمعرفة ما تحمله دراسة الأخلاق من تفرّعات وامتدادات، وإن كان الاضطراب المنهجي يسمح بتلخيص منهج دراسة الأخلاق إلى اتجاهين متكاملين

الأول: الوصف أي وصف القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، والتي يقبلها الضمير فيكشف عمّا يتضمّن فيها، ويبيّن جوهرها وأركانها، وما يجمع تلك الأركان في وحدة كاملة. والمقصود هنا الوصف الفلسفي أو ما يطلق عليه أحياناً الوصف الفينيمولوجي.

الثاني: يقوم على التفكير والتأمل والتّقد، أي البحث في الأساس الذي تقوم عليه المعاني الأخلاقية سواء أكان هذا الأساس في العقل الإنساني أو في المجتمع أو في عالم المثل. الفيلسوف الأخلاقي لا تقتصر دراسته على الحقائق فقط، بل تسعى إلى إحياء الضمير الخلقي. (امام، ص. 19)

هل عبّرت هذه الاشكالات بملايساتها إلى الفضاء الإسلامي؟

الإجابة الأولية: حسب بعض الاجتهادات: كان المعتزلة أوّل من أدخل في مصادر العلم في النّاحية الأخلاقية والدّينية بوجه عام عنصراً جديداً وهو العقل؛ هذا العنصر الذي له قيمته وخطره في الوصول إلى المعرفة، والذي أحسن المعتزلة الاستفادة عنه فيما خلقوا من مسائل أو مشاكل في العقيدة والأخلاق، والمسائل التي تكلم فيها المتكلّمون وبخاصّة المعتزلة وتتصل بالأخلاق.

يمكن أن تنحصر في أمور هي: (سنعود إلى هذه النقطة لاحقاً).

الشعور الأخلاقي وأنه كسبي أو فطري.

الخير والشر وهل هما مطلقان أو نسبيان .

المسؤولية الأخلاقية.

الفضيلة وهل هي العلم والمعرفة.

مذهبهم وهل هو واجبي أو غائي. (موسى، 1945)

إدخال العقل في المنظومة الأخلاقية الإسلامية بثقل ميراث المعتزلة، شهد موقفاً معاكساً في زمان آخر وهو البحث عن معابر من الأخلاق إلى الدين .

إن الفصل بين الأخلاق والدين مسعى اختاره بعض المتخصّصين وبعض المذاهب، ولإيضاح أنّ هناك جسر قد يجسر الفجوة بين الدين والأخلاق، وضع بعضهم مصطلح "لاهوت الأخلاق".

جاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أي المنتمية إلى الإلحاد تعريفا للاهوت الأخلاق " THEOLOGICAL_ ETHICS " : " الأخلاق المبنية على أساس بعض المذاهب اللاهوتية، وقد كان أهم اتجاهات الأخلاق اللاهوتية تأثيرا ولايزال في المعتقدات الأخلاقية للديانات الثلاث المسيحية والإسلام والبوذية... ومصدر الأخلاقيات اللاهوتية هو الله وهو تجسيد الخير الأخلاقي والفضيلة الأخلاقية، بينما الشر والأخلاقية في المجتمع يرجعان إلى الخطيئة الأولى... الأخلاق اللاهوتية تنفي حق المجتمع في وضع التقييمات الأخلاقية، وفي الأخلاق اللاهوتية مكانة كبيرة لإثابة الصالحين ومعاقبة المخطئين، وهي العقيدة التي يربطها اللاهوتيون بنهاية العالم، ويعزى الانتصار النهائي للخير والعدل، إما إلى الحياة الأخرى أو إلى حلول مملكة الرب، وبعبارة أخرى فإنّ الخضوع والمهانة وانعدام المقاومة إزاء الشر ترفع إلى مرتبة الفضائل وتصبح الأخلاق اللاهوتية دفاعا أخلاقيا عن مجتمع الاستغلال. (لجنة من العلماء السوفيات، تر. كرم، ص12).

وربطا بالمصطلح أضافوا مصطلح أخلاق الاستحسان " ETHICS-APPROBATIVE " وهو في تعريف الموسوعة: " نظرية مثالية في الأخلاق، يعرف فيها الخير بأنه ذلك الذي يقبله المرء وطبقا لمن يمارس الاستحسان (الله أو الحسن الأخلاقي للإنسان أو المجتمع مفهوما على أنه مجمل الأفراد). "

في نفس الموسوعة تم تقسيم الأخلاق الاستحسانية إلى نظريات استحسانية لاهوتية وسيكولوجية واجتماعية، ومن الأمثلة على النظريات الأولى نظريات "كارل بارث" و"اميل برونز (سويسرا) و"بول تيليتش" و"راينهولد ويرتشارد نايبور" ويرجع ظهور نظرية الحسن الأخلاقي للإنسان إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر في إنجلترا، وقد أقامها في القرن العشرين وطور هذه النظرية في شكلها الثالث "اميل دوركايم"، وليس لأي من هذه النظريات أساس علمي، فهي نظريات إرادية وذاتية وتكر المعايير الموضوعية للأخلاق. (نفسه)

يبدو جليا موقف الموسوعة الملحدة من كل ما له علاقة بالغيبات والأديان وإن كنا كمسلمين سباقون إلى استثمار فكرة الاستحسان في الفقه والأخلاق.

هناك تعريف آخر للاهوت الأخلاق قدمه "Servais PINCKAER" وهو أستاذ جامعي بلجيكي (ت.2008)، من علماء اللاهوت الكاثوليك ومن رهبانية الدومنيكان، اجتهد من أجل التّحديد في باب الأخلاق المسيحية:

يقول: "لاهوت الأخلاق أو اللاهوت الأخلاقي يدرس السلوكيات البشرية الإنسانية من أجل توجيهها نحو النظرة المحبة لله مثل التطويب الحقيقي والكمال، ومن أجل الهدف السامي والبعيد للإنسان، عن طريق الاعتراف بنعم الله والالتزام بالفضائل والقيام بالصدقات، وهذا على ضوء الرسالة والعقل.(مجموعة محاضراته في مؤسسات تكوين رجال الدين ومداخلاته في ملتقيات متخصصة موزعة على عدة مواقع).

المسلم الحكمة ضالته، والأديان السابقة له مما ذكر في القرآن الكريم أو لم يذكر وخصوصاً الدينان السابقان بمثابة قاعدة لبنيناه، لذلك يعرف المسلم ما سلم في الدينين من الانحراف من خلال المقايسة بالإسلام وبصحيح الفطرة وصريح العقل المستقيم.

يعترف عالم دين مسيحي بأن الأخلاق شغلت اهتمام الدائرة العاملة والوعظية في الفضاء المسيحي: " لقد أفاض الكتبة اللاهوتيون والمعلمون الروحانيون في الكلام عن الكمال المسيحي وسمو مراميه وجزير منافعه، ووضعوا في ذلك المؤلفات العديدة، وبيّنوا بفصاحتهم وعلمهم وعلى الأخص بجمال سيرتهم وقداسته حياتهم ماهيته ومعانيه ورسومه وطرقه، فملفوا كنوزاً عظيمة.

قسّم اللاهوتيون الروحانيون حالات الكمال المسيحي إلى درجات ثلاث: الدرجة الأولى للمبتدئين، والثانية بالمتقدمين المتورّين، والثالثة بالخشع الكاملين، وجعلوا لكل فئة من هؤلاء رسوماً وأحكاماً ووصفهم بميزات تعرف بهم... أول من تفرّد بهذه الطريقة المثلى القديس توما الاكوييني.(عساف، 1984، ص.1)

في الكتاب المقدّس المشترك بين اليهود والمسيحيين نجد الوصايا العشر التي توقّف عندها بعض علماء المسلمين، فوجدوا أنّ فيها ما يتوافق مع الإسلام، لكن تتبّع تفاسير اليهود والمسيحيين لها يبعدها عن هذه الملاحظة.(يجب التذكير دون كلل أن الوصية الأولى تدين الشرك).

الوصايا العشر التي أمر بها الله الشعب في: الوصايا العشر

من أساسيات الكتاب المقدّس قوانين عشرة يعتبرونها معطاة من الله لشعب اسرائيل بعد الخروج من مصر، وهي في الأصل حوصلة ل 613 وصيّة من ناموس العهد القديم (التناخ).

توجد الوصايا العشر في سفر الخروج 17:1-20 وسفر التثنية 5:6-21

يقسمونها إلى باقة خاصة بالعلاقة مع الله وهي الأربعة الأولى، والوصايا الستة الباقية تغطي علاقات الناس مع بعضهم. وهي كالآتي:

1. أنا هو الرب إلهك، لا يكن لك إله غيري.
2. لا تحلف باسم الله بالباطل.
3. إحفظ يوم الرب
4. أكرم أباك وأمك
5. لا تقتل
6. لا تزني
7. لا تسرق
8. لا تشهد بالزور
9. لا تشته امرأة قريبك
10. لا تشته مقتنى غيرك.

يلاحظ أنّ رأس الوصايا في ظاهرها توحيد ظاهر، لكن تفاسير المسيحيين خصوصاً وشجتها بالثالوث وربطتها بتعاليم موعظة الجبل.

وغلبت عليها النصائح الأخلاقية كما جاءت في إنجيل متى في الإصحاحات الخامس والسادس والسابع، منها:

1. طوبى للمساكين بالروح لأنّ لهم ملكوت السماوات .
2. طوبى للودعاء لأنّهم يرثون الأرض.
3. طوبى لأنقياء القلب لأنّهم يعاينون الله.
4. طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يدعون .
5. قد سمعتم أنه قيل للقدمات لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم إنّ كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب الجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم.
6. قد سمعتم أنه قيل للقدمات لا تزني، وأما أنا فأقول لكم أنّ كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه.

7. فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.
8. وإن كانت يديك اليمنى تعثر فاقطعها والقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.
9. أيضا سمعتم أنه قيل للقديس لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسى الله .
10. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا .
11. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك .
12. ومتى صمت فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين؛ الحق أقول لكم إنهم قد استفوا أجرهم وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك
13. فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم لأن هذا هو ناموس والأنبياء.

هذه المبادئ ستدخل في كتابات الفلسفة الأخلاقية المسيحية، وتدور حولها نقاشات بأبعاد عقديّة، وحتى ترتيبها ضمن منظومة فكرية معقنة كان مجتذبا بين المدارس الأخلاقية المسيحية وحتى الاتجاهات الرهبانية، وكان للقديس "أوغسطين" دور في تسميتها وفي التأصيل الثالثي لهذه المبادئ. وكانت الوصايا والموعظة من مصادر بعض المشاريع العالمية لحقوق الإنسان. واجتهد بعض علماء الإسلام كمحمد عبد الله دراز في كتابه مدخل للقرآن على المقارنة بين الوصايا وما جاء في القرآن الكريم، والإمام محمود شلتوت كتب كتابا أسماه الوصايا العشر.

الوصايا العشر في الإسلام:

الوصايا العشر لم تذكر بالتفصيل في القرآن الكريم، ولكن معانيها مبثوثة في ثنايا الآيات: كما يحصي بعض الباحثين:

1. ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد: 19).
2. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: 35)

3. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْشَةً لِّإِيمَانِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . (البقرة: 224)

4. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . (الجمعة: 9)

5. ﴿وَفَضَىٰ رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا بَلَّغْنَا عِنْدَكَ الْأَمْرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِّهَٰمَا آفِي وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ . (الإسراء: 23)

6. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ . (المائدة: 32)

7. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ . (الإسراء: 32)

8. ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ . (المائدة: 38)

9. ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَشْرَ مَرَّةٍ يَكْفُكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ فَأَنَّ ءِثْمَ قَلْبِهِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ . (البقرة: 283)

10. ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ . (طه: 131)

ومن خطبة الوداع للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام التي ألقاها في السنة العاشرة هجرية، رواه النسائي وأبو داود وغيرهما مع اختلاف في بعض الألفاظ ألقاها الرسول ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشراً مما جاء فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ دينا (المائدة من الآية 3).

1- أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير .

2- إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا - ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

3-من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

4-ربا الجاهلية موضوع لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا...

5-الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم والأرض.

6- إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق.

7- إنما المؤمنون إخوة ولا يحلّ لامرئٍ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه.

8- إن ربكم واحد وإنّ أباكم واحد كلکم لآدم وآدم من تراب أكرمکم عند الله اتقاکم.

تحمل الخطبة تعاليم ربّانية أكّد عليها الرّسول ﷺ في ذلك المقام الهامّ وينسج عليها المسلمون خطبا ودروسا كثيرة.

التفكير الأخلاقي عند المسلمين:

الخلفية الفكرية في تتبّع محاولات التأسيس للتّحالف العالمي للأخلاق، يضمن المناعة والنّجاة من أيّ انزلاق عقدي، لذلك الجانب التطبيقي هو الأهمّ هنا، والبحث عن الجذور مسألة حيويّة.

يقول أحد الباحثين: " تكاد تكون الفلسفة الأخلاقية من أقلّ فروع الفلسفة خطأً من عناية الدّارسين والمؤرّخين للثقافة الإسلامية الأقدمين منهم، والمحدّثين على السّواء، فابن خلدون في الفصل السّادس من مقدّمته حيث تناول العلوم وأصنافها والتّعليم وطرقه وسائر وجوهها، ذكر علوم العرب جميعا دون أدنى إشارة للأخلاق، وكذا ابن صاعد الأندلسي لا يذكر الأخلاق فيما ذكره من علوم العرب شيئا(صبحي، 2002، ص.8-13)

وبضيف الباحث في تتبّع آثار الكتابات الأخلاقية عند المسلمين: " لا نجد لدى الفارابي علما للأخلاق بمفهوم إسلامي أو عربي موضوعا أو منهاجا، أمّا التهانوي فقد أشار إلى الأخلاق في مقدّمة كتابه "كشاف اصطلاحات الفنون " حيث صنّف فيها العلوم ولكنّه كانت تعوزه النّظرة الكلّية في فهم موضوع الأخلاق، إذ هو يفصل بين التّظر والعمل في الأخلاق، أمّا التّظر في فهمه فهما مشائيا إذ الأخلاق أوّل أقسام الحكمة العمليّة حيث العلم لمصالح الشّخص، وليس أدلّ على اقتفاء أثر أرسطو في ذلك أن جعل القسمين الآخرين للحكمة العمليّة هما نفس ما ذكره أرسطو: تدبير المنزل والسياسة المدنيّة أما الأخلاق العمليّة لديه فيضفي عليها مفهوما إسلاميا إذ جعلها مرادفة للتّصوّف أو معرفة ما للنفس وما عليها من الوجدانيات.(صبحي، ص.14).

محمد أركون في الكثير من كتبه بداية بأطروحته يعدّ مسكويه رائد الإنسانية الإسلامية.

باحث آخر يعتبر مسكويه المعلم الثالث ويحلل: " فقد كان معاصراً لابن سينا والبيروني والتوحيدى، والظاهر أنّ مسكويه قد عمل خازناً لمكتبة عضد الدولة، إذ كانت تعدّ الأخيرة من كبريات المكتبات في التاريخ الإسلامي، بما جمعت بين دفتيها من آثار القدماء وتصانيف العلماء؛ فلسفته مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس، والشريعة الإسلامية، غير أنّه يميل إلى أرسطو أكثر، وكان من ثمرة جهوده الفلسفية تقريبه بين الفلسفة والشريعة الإسلامية. (مراد، ص.11).

سيصادف الباحثون في كل الكتابات حول تاريخ الفكر الأخلاقي فلسفياً عند المسلمين مثل هذه الآراء حول منابع ذلك الفكر قد يسمي البعض ذلك ثقافة واعية وقد يسميها البعض الآخر استيلا، وفي كلّ الحالات تعود محورّة الأصالة.

لمحاولة الإحاطة بالموضوع من زاوية أخرى، تمّ اختيار نموذج أبي حامد الغزالي من أحيائه كتاب: " رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب ".
في تعريف الغزالي للأخلاق نجد روح تأصيلية مخالفة شيئاً ما للنمط اليوناني بداية باختيار كلمة خلُق بدل أخلاق:

لطول النص يتم تشجييره في نقاط مترابطة:

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظاهر.
يراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة، وذلك لأنّ الإنسان مركّب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة.

ولكل واحد منهما هيئة وصورة إمّا قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر. ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿ (ص: من الآية 71-72) فنبّه على أنّ الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى ربّ العالمين.

والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سُميت تلك الهيئة خلقا حسنا.

وإن كان الصّادر عنها الأفعال القبيحة سُمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً.

وإنّما قلنا إنّها هيئة راسخة لأنّ من يصدر منه بذل المال على التدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السّخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

وإنّما اشتراطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير رويّة، لأنّ من تكلف بذل المال أو السّكوت عند الغضب بمجهود ورويّة لا يقال خلقه السخاء والحلم.

فهذه أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقيح، والثاني القدرة عليهما، والثالث المعرفة بهما، والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السّخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

هو عبارة عن القوّة لأنّ نسبة القوّة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء.

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإنّ المعرفة تتعلّق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرّابع وهو الهيئة التي بها تستعدّ النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل.

فالخلق إذا عبارة عن هيئة النّفس وصورتها الباطنة، وكما أنّ حسن الصّورة الظّاهرة مطلقاً لا يتمّ بحسن العينين دون الأنف والفم والحدّ، بل لا بدّ من حسن الجميع ليتمّ حسن الظّاهر.

فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بدّ من الحسن في جميعها حتّى يتمّ حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت، حصل حسن الخلق وهو قوّة العلم وقوّة الغضب وقوّة الشّهوة وقوّة العدل بين هذه القوى الثلاث. (الغزالي، 1982، ج3، ص53).

أبو حامد الغزالي اطلع على التّراث اليوناني في التّرجمات المتاحة، وانتقد الفلسفة ووصف المشتغلين بها بالتّهافت؛ هل كتب الفقرة السّابقة وهو يقصد الاختلاف، أم أنه بالعكس تفلسف أخلاقياً بنفس الأدوات التي استعملها غيره ممّن نسجوا كتاباتهم على النموذج اليوناني؟ مع نية واضحة لاستيعاب التراث اليوناني وغربلته فهو أيضاً ارتوى من التراث السابق عنه الذي من مكوناته رسالة موسى عليه السلام ونبوات لا نعلمها بالإضافة إلى ثمار الفطرة السليمة الموزعة بالعدل بين البشر.

زكي مبارك في أطروحته التي نشرها كتابا بعنوان الأخلاق عند الغزالي كان شديدا في استخراج المؤثرات الخارجيّة حيث يقول: " أن نظرتة في تقسيم الفضائل وطرائق كسبها وتنويع الرذائل ووسائل الخلاص منها لترينا مبلغ محاكاته للفلاسفة الذين كتبوا في الأخلاق والآداب الاجتماعية. (مبارك، ص.69)

وبضيف: " لا شكّ في أنّ الغزالي استقى من منابع الفلسفة في كل ما كتب عن الأخلاق، وغاية الأمر أنّ وجهة الدّين ووجهة التّصوّف غلبتا عليه، وصوّرتا آراءه بصورة دينيّة روحية تبدو للنّظرة الأولى وكأنّها لا تمّت للفلسفة بسبب ولا تأخذ منها بنصيب، وهي في الواقع متأثرة بما للفلسفة من أصول. (مبارك، ص.71)

هذا التّقصّي للبحث عن الخلفيّة اليونانيّة في كتابات المسلمين في التّفكير الأخلاقي، نجده عند عدّة باحثين، حتى أنّ بعض عناوين الكتب جاءت بالصّيغة التالية: " فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ".

ومما جاء: عند المتكلمين... علم الكلام هو الباب الذي دخل منه المسلمون إلى الفلسفة اليونانية، والثّافذة التي تسلّلت مكائها هذه الفلسفة إلى المسلمين... ننتظر في هذه الفترة تفكيراً أخلاقياً فيه كثير من النّظر العقلي وفيه غير قليل من الفلسفة... كان المعتزلة أبطال التّفكير في هذه المرحلة فهم أوّل من أدخل في مصادر العلم في النّاحية الأخلاقية والدينية بوجه عام عنصراً جديداً وهو العقل، هذا العنصر الذي له قيمته وخطره في الوصول إلى المعرفة، والذي أحسن المعتزلة الإفادة عنه فيما خلقوا من مسائل أو مشاكل في العقيدة والأخلاق والمسائل التي تكلم فيها المتكلّمون، وبخاصة المعتزلة وتتصل بالأخلاق ويمكن أن تنحصر في أمور هي:

الشعور الأخلاقي وأنّه كسبي أو فطري.

الخير والشر وهل هما مطلقان أو نسبيان.

المسؤولية الأخلاقية .

الفضيلة وهل هي العلم والمعرفة.

مذهبهم وهل هو واجبي أو غائي (موسى، 1945، ص46)

ويضيف المؤلف: "الشعور الأخلاقي لم يجعل المتكلمون غير المعتزلة العقل هو الفيصل في معرفة أنّ هذا النوع من الأفعال خير وأنّ هذا النوع الآخر شرّ، بل كان مرجع ذلك عندهم الشرع وما يأمر به وينهى عنه، فما أمر به خير وفضيلة وما نهى عنه شرّ ورذيلة، وهذا ما يُعرف في تاريخ الأخلاق بمذهب السُلطة الخارجيّة ويقابله مذهب السُلطة الدّاتية أو المذهب الطبيعي أو الفطري الذي يرجع الأخلاق إلى العقل أو الضمير.

ولمّا ظهر هؤلاء العلماء المفكّرون الذين عُرفوا بالمعتزلة أدخلوا العقل عنصرا جديدا في المعرفة والأخلاق، وجعلوا إليه معرفة الخير والشرّ أي أنّهم كانوا من أنصار المذهب الطبيعي أو الفطري وهذه المسألة الخلافية بين أهل السنّة وبين المعتزلة هي ما عُرفت في تاريخ علم الكلام بمسألة الحسن والقبح (موسى، 1945، ص.47).

رغم هذا العرض، صاحبة الدراسة تتبنّى فكرة أن الاختلاف بين المدارس والمذاهب الإسلامية في مثل هذه القضايا اختلاف لفظي، سرعان ما يتأكّد المحقّق من ذلك إذا أزال أغلفة العبارات وركّز على المعاني.

تشخيص محمد عابد الجابري:

استفاد الجابري من التّقد الذي سبقه إليه بعض الباحثين المسلمين وحتى بعض المستشرقين، الذين أنكروا أصالة الفلسفة الأخلاقية الإسلامية وحيويّة التفكير الأخلاقي حيث يقول: "يمكن أن نسجّل بداية تلك العلاقة اللّغوية القائمة بين الخلق والخلق في اللّغة العربية، وهي علاقة تلقى بظلالها على معنى الأخلاق فتجعلها تحمل معنى الطّبع والعادة. نقول صفات الله ونقول أخلاق الله، ومن هنا كان التّمييز بين الخلق الفطري أو الموهوب أو الغريزي، وبين الخلق المكتسب بالتّدريب والتّعلم هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم نصادف في التّحديدات السّابقة ما يفيد أنّ كلمة أخلاق تستعمل اسما لمجموعة من المعارف تشكّل علم هو علم الأخلاق وتعكس عناوين بعض الكتب التي ألّفت في هذا العلم مضمون هذه الملاحظة: " مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، وهناك عدّة كتب بعنوان تهذيب الأخلاق... الكتب المترجمة تحمل كلمة أخلاق كعنوان علم... عناوين مركّبة تستعمل للدلالة على مجموع قواعد السلوك... تفيد علم الأخلاق وقرن الأخلاق وصناعة الأخلاق... في اصطلاح المتصوّفة يقال أخلاق سلوك، كما يقال آداب الصلاة في اصطلاح الفقهاء ولا يقال أخلاق الصلاة (الجابري، 2001، ص40-41).

ويحدد الجابري مرجعيات تكوّن منظومات الأخلاق عند المسلمين في: ثلاث مرجعيات، إليها يعود ما نقل إلى الثقافة العربيّة من الموروث اليوناني في الأخلاق والقيم. "أفلاطون" و"أرسطو" و"جالينوس" وبدون التّمييز في هذا الموروث بين هذه المرجعيّات الثلاث لن يكون قابلاً للفهم فعلاً. لقد حصل الجمع بين آراء "أفلاطون" وآراء "أرسطو" في الأخلاق كما في مجالات أخرى، وحصل الجمع بين آراء هذين وبين آراء "جالينوس" ومع ذلك فالتّمييز في الفكر الأخلاقي العربي ذي الأصول اليونانية بين نزعات ثلاث أمر ضروري:

نزعة طبّيّة علميّة مرجعيّتها جالينوس .

نزعة فلسفيّة ومرجعيتها أفلاطون وأرسطو.

نزعة تلفيقيّة تقتبس من المرجعيّات الثلاث، وكثير منها لا يميّز بين الصّحيح والمنحول، وقد توالّت هذه النزعات تاريخيّاً على هذا التّرتيب (الجابري، ص. 289-290)

ويستخلص الجابري النتيجة التالية: " ومن هنا تبرز تلك الظّاهرة التي سادت التّأليف في الأخلاق في الثقافة العربيّة بمظهر جديد تماماً، أقصد ظاهرة التّوفيق بين الموروث اليوناني والموروث الإسلامي، فلم يكن هذا التّوفيق محصوراً في الجمع الواعي المقصود بين "أفلاطون" و"أرسطو" كما فعل "الفارابي"، بل لقد اتخذ أيضاً سبيلاً أخرى هي التّلفيق بين مقتبسات من هذين الفيلسوفين وشراحهما، وبين مقتطفات من "جالينوس" مما فسح المجال لإدراج عناصر من الموروثات الأخرى الفارسي والعربي والإسلامي في هذا الكشكول. (الجابري، ص 421)

يضع الجابري أحكاماً على عيّنات من الرّاث الإسلامي يمكن تلخيصها في: اختلاط المعايير وسيادة المقبس الرّديء من الموروث اليوناني في التّراث الإسلامي كالنزعة التّلفيقية في كتاب السّعادة والإسعاد للعامري.

ونفس الأعراض في كتاب: " تهذيب الأخلاق لمسكويه. (الجابري، ص. 422).

ويلاحظ من جهة أخرى: " غاب التنبية على سبيل السعادة للفارابي، وقد اختصر فيه كتاب أرسطو بأسلوب بسيط واضح، وغاب الطب الروحاني للرازي، وقد سار فيه مع اتجاه جالينوس متحرراً الأمانة العلمية فيما ينقل عنه، وفي الوقت نفسه يدلي باجتهاداته الخاصة التي توطّرها خلفيّة فلسفيّة غير تلك التي صدر عنها هذا الأخير، وغاب تهذيب الأخلاق لابن سنان الذي سلك مسلك جالينوس وتعدّاه إلى نوع من الطب النفساني، موضوعه ليس الأمراض النفسية والعقليّة وحدها بل الأمراض الأخلاقية أيضاً فدعا إلى إنشاء بيمارستان خاص بها."

وغاب تهذيب الأخلاق لابن الهيثم وغاب الضروري في السياسة: مختصر السياسة لأفلاطون لأبي الوليد بن رشد فغاب بغايه نقد السياسة في ثقافتنا، وغيره من الكتب العائبة، وغاب أفلاطون الحقيقي في تراثنا(الجابري، ص.423).

وتوسّع الجابري في البحث عن جذور للتفكير الأخلاقي: " اخلاق الفناء التي تحكم الموروث الصوفي في الثقافة العربية تجد أصولها فيما قبل الإسلام في التصوف الفارسي من جهة والتصوف الهرمسي في الإسكندرية وأنطاكية...أما القيم الأساسية التي في الأخلاق، فهي القيم الكسروية (الطاعة) كما رأيناها تشخّص في علاقة الشّيخ بالمريد من جهة والتوكّل الذي يؤسّسه الخوف من الآخرة أي من الموت، وبالتالي ترك التدبير للشأن الدنيوي، أمّا القيمة المركزيّة فهي الفناء عن أوصاف البشريّة وفي مقدّماتها العبوديّة والارتقاء بالتالي في بحبوحة الحرية.(الجابري، ص487).

الانكباب على تفكيك هذه الأحكام لا يمكن أن ينطلق بعيداً عن اللّغز المعرفي العلمي المرتبط بقنوات تلقي المسلمين للتراث اليوناني: معرفة اللّغة اليونانية والحصول على أصول المؤلفات أو البناء على ترجمات قام بها غير مختصّين، أضافوا إلى أخطاء فهمهم وترجمتهم الاستعانة بمعتقداتهم عند تصلّب وانغلاق المعنى.

مشروع عبد الله دراز:

الشيخ محمد عبد الله دراز العالم الأزهرى الذي درس في فرنسا واحتك بالمستشرقين، وأشرفوا على بحوثه ووجهوا بعضها، وحافظ رغم ذلك على أصالته واجتهد لتقديم ما يفيد أمته شاقاً طريقتين واحد في دراسة الأديان، والآخر في فلسفة الأخلاق القرآنية، مستفيداً من إيجابيات المناهج الغربية في نقد التراثين الغربي والإسلامي.

كان محمد عبد الله دراز واعياً منذ البداية أنّ هناك من سينفر من مسعاه في رسم معالم جديدة لمقاربة القرآن الكريم، لذلك وضح منذ مقدمة كتابه عن دستور الأخلاق في القرآن الكريم الذي أخرج به إلى العالم أطروحة باللغة الفرنسية عام 1947 معالم مشروعه وإلحاحيته، وهو الذي عاش ويلات الاحتلال وويلات الحرب العالمية في أوروبا حيث كان يحضّر لأطروحته.

يوضح الشيخ الدكتور العالم: " القرآن من حيث كونه حافظاً لما سبقه، واستمراراً له تميز عنه بذلك الامتداد الرحب الذي ضمّ فيه جوهر القانون الأخلاقي كله ".

" وهو الذي ظل متفرّقاً في تعاليم القديسين والحكماء، من المؤسّسين والمصلحين، الذين تباعد بعضهم عن بعض، زماناً ومكاناً، وربما لم يترك بعضهم أثراً من بعده يحفظ تعاليمه". وهكذا لم ينهض أحد-فيما نعلم- حتى الآن باستخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعه".

ولم يحاول أحد أن يقدم لنا مبادئها وقواعدها في صورة بناء متماسك مستقل عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه، ويجب أن نعترف بأنّ تصوّرنا للخطة الأولى لهذا العمل كانت في شكل محدود، بحيث لم نكن نتصوّر شيئاً سوى عرض القانون الأخلاقي المستمد من القرآن وربما من تعليم النبي ﷺ المبين الأول الثقة.

غير أن الأستاذ " لويس ماسينيون " الأستاذ في الكوليج دي فرانس قد أبدى لنا رغبة في أن يرى هذه الدراسة تتناول في نفس الوقت بعض نظريات المدارس الإسلامية المشهورة، وهو في سبيل هذا الهدف قد مكّننا ممّا ضمّت مكتبته من مؤلّفات نادرة وثينة مخطوطة أو مطبوعة.

كما أن الأستاذ رينيه لوسين الأستاذ بكلية الآداب بباريس قد اقترح علينا أن نقارن النظرية الأخلاقية المستمدة من القرآن بعض النظريات الغربية .

وقد استجبنا بحمد الله لما أبدى من مقترحات موفقة يبدو عملنا اليوم بفضلها أرحب مدى وأعظم توفيقاً.

فعملنا على هذا النحو نوع من التأليف تلتقي فيه الأفكار الأخلاقية من الشرق بنظريتها من الغرب، في مقارنة واعية محايدة بريئة من كل فكرة مسبقة، ومن كل هوى متعصب لمدرسة بعينها، رائدها الوحيد في كل مناقشة أن تحتكم إلى العقل الذي يستهدي بالأسانيد الوثيقة.

ترى هل يكون هذا التقارب بين مختلف الثقافات استهلالاً في المجال العملي، يعقبه فهم أرحب مجالاً ونزوعاً إلى الإنسانية أكثر امتداداً، حيث تتجمع القلوب من هنا وهناك، وتتشابك الأيدي لخير بني الإنسان. (دراز، 2003، ص.15)

1 المستشرقين، لا من الناحية النظرية، ولا من الناحية العملية. (دراز، 1998، ص.4)

يرسم الشيخ خريطة مساره البحثي بتمنين ماهو موجود في التراث الإسلامي:

1. ولسنا ندعي ابتداءً، أن بحثنا في المجال النظري تخوض في أرض لم يرتدها أحد قبلنا.
2. فإنّ العلماء المسلمين قد أعملوا قرائحهم منذ عهد مبكر في هذا الموضوع.
3. علماء الكلام، وعلماء الأصول، فكروا جميعاً في مقياس الخير والشر، وحسب تعبيرهم. مسألة الحسن والقبح.
4. وفكر الفقهاء في شروط المسؤولية.
5. وفكر الأخلاقيون والصوفية في فاعلية الجهد، وإخلاص النية والقصد.
6. ولكنّا إذا صرفنا النظر عن أن هذه الأفكار قد بقيت متناثرة في مختلف المذاهب التي تمس الأخلاقية من قريب أو من بعيد.
7. والتي لم تُعنَ دائماً بوجهة النظر الأخلاقية بمفهومها الخاص .
8. فإنّ النظرية الأخلاقية التي يقدمها هؤلاء تصدر في جانب كبير منها -على الأقل- عن روح المذهب الذي ينتمي إليه مؤلفوها.
9. إن لم تكن من محض نظراتهم الشخصية.
10. لأنّ القرآن لا يرد ذكره فيها إلا بصفة مكملّة، شاهداً أو برهاناً على فكرة أو أخرى سبق الأخذ بها.

11. وأما في المجال العملي فمن الحق أن الغزالي - كما نعلم - قد حاول في كتابه " جواهر القرآن " أن يحلل جواهر القرآن، وأن يرده إلى عنصرين أساسيين، يتصل أحدهما بالمعرفة، ويتصل الآخر بالسلوك. وانتهى إلى أن حصر في القرآن من النوع الأول سبعمائة وثلاثاً وستين آية؛ كما حصر من النوع الثاني سبعمائة وإحدى وأربعين آية. (دراز، 1998، ص.5)
 12. ولم يقتصر الأمر في هذه الكتب على أن نجد التصوص القرآنية ذات المغزى الأخلاقي.
 13. وقد غرقت بطريقة غامضة وسط نصوص تتصل بموضوعات فقهية، أو أصولية، أو كلامية، أو كونيّة، أو غيرها.
 14. بل لقد رأينا لدى القاضيين آيات مذكورة بمناسبة مسائل، لا يتصل النص بها إلا من بعيد.
 15. وقد اعتبرت هذه المسائل ببساطة مناسبة لذكرها. (دراز، ص.6)
 16. وعلى كلّ حال، فإن جميع المؤلفين، بما فيهم الغزالي، وقد جمعوا بطريقتهم الآيات القرآنية بترتيب السور .
 17. جعلوا من مختاراتهم مجرد جمع لمواد متفرقة، لا تربط بينها روح قرابة، ولا يظهر فيها أي تسلسل للأفكار.
 18. ولذلك، فعندما فقدت الوحدة الأولى لكل سورة لم يستطيعوا أن يكملوا عملهم بإيجاد وحدة منطقية، تربط بين الأجزاء المختارة، أو تصنيف منهجي تقتضيه قاعدة التعليم. (دراز، 1998، ص.6-7).
 19. هكذا لم ينهض أحد -فما نعلم- حتى الآن باستخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعه.
 20. ولم يحاول أحد أن يقدم لنا مبادئها، وقواعدها في صورة بناء متماسك مستقل عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه.
 21. وتلكم هي المهمة التي انتدبنا للوفاء بها هنا، بقدر ما تطيقه وسائلنا. (دراز، 1998، ص.8).
- شرح محمد دراز لبناء صرحه الفكري، يساعد في تتبع اشكاليته ومصّب الإجابات عن الفرضيات التي اختبرها بحثه.

يشرح الشيخ محمد دراز أنّ القرآن الكريم هو المبدأ لمشروعه والأساس لخطواته والهدف لمساعده:

1. ونحن من ناحية أخرى نتخذ من القرآن ذاته نقطة انطلاق.

2. بحيث كان دأبنا الدائب أن نستخرج منه الإجابة عن كل مسألة، بالرجوع المباشر إلى النص.

3. وهنا تكمن الصعوبة؛ فإنّ التصوص المتعلقة بالتّطرية الأخلاقية ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العمليّة، غير أنّ هنا سؤالاً مسبقاً ينبغي أن يطرح: هل القرآن كتاب نظري؟

4. أم هل يمكن أن يلتمس فيه ما يلتمس، من المؤلّفات والأعمال الفلسفيّة؟

ويجب الشيخ دراز على هذا السؤال المركزي المرتبط بإشكالية التفكير الأخلاقي لدى المسلمين:

1. يفارق التّعليم القرآنيّ التّعليم الفلسفيّ، سواء في المصادر، أو في المناهج. (دراز، 1998، ص.14).

2. الحق أنّه لا مرأى في أن القرآن مشتمل على جميع العناصر الأساسيّة للفلسفة الدّينية: أصل الإنسان، ومصيره، وأصل العالم ومصيره، ومبادئ السّبب والغاية، وأفكار عن النّفس، وعن الله... إلخ. وإن دراسة مثل هذا الموضوع لجديرة أن يخصّص لها عمل مستقل. (دراز، 1998، ص.15).

في مشروعه كعالم مسلم يحقّق مبدأ الاستخلاف العلمي يزيح من طريقه الأصنام العلميّة التي صنعتها وعبدتها المركزية الأوربية، إذ ينتقد الشيخ دراز منظومة "كانط" التي عجزت عن تقديم بديل للألوهية بإضفاء العصمة على العقل البشري إذ يقول: "الناس محتاجون على وجه التّحديد إلى قاعدة صالحة للتّطبيق على فطرتهم؛ ويستطيع كلّ منهم في الحالات السّهلة أن يجد تلك القاعدة مسجّلة بصورة ما في ضمير، أي: إنّ الشّخص لا يحتاج إلى ذلك الكيان الشّكلي المجرد، وهو إن احتاج إليه فإن هذه الفكرة الفارغة لا تفيدنا شيئاً محدداً (دراز، 1998، ص.33).

ويبيّن الشيخ دراز عمق رأيه بتوضيح مسدد بحكمة: "إنّ رجوعنا إلى الضّمائر الفردية سوف يصطدم بأنّ كلّ النّاس ليس لديهم نفس القدر من التّشدد، ولا نفس الطّاقة الأخلاقية، ويترتب على ذلك أنّ التّنوع في الإجابات يرينا كثيراً من الاتجاهات المتعارضة." (دراز، 1998، ص.88).

ويضع الشيخ دراز مشروطه على خلل في المنظومة الكانطية: "لقد كان "كانت" يعترف بأن الشيء حين يمكن استعماله حسناً من وجه، وسيئاً من وجه آخر -ليس حسناً مطلقاً... ألا تنطبق هذه الحالة على منهجه الشكلي؟ إنَّ المبدأ الشكلي العام ليس سوى قالب يمكن أن نصب فيه كعكة من عجين، أو حجرًا من طين. وأعظم تناقض في النظرية الكانطية هو أنها تعتبر صفة أساسية ما ليس إلا صفة فرعية؛ ولذلك فإن "كانت" يرى أن القانون الشكلي هو الذي يتخذ أساساً للخير، وليس الخير هو الذي يتخذ أساساً للقانون الشكلي وهذا الموقف المعارض لموقف القرآن - كما رأينا- محدد في فكر "كانت"، (دراز، 1998، ص. 109-110).

يبين الشيخ دراز أنَّ "كانط" المعارض للفكر الدِّيني عموماً وقع في ما يتعارض مع الفطرة العاقلة: يقول رجال اللاهوت: " هذا أمر علوي من الله"، يقول "كانت": "هذا أمر حتمي من العقل المحض". والفرق بينهما، مع ذلك، هو أنَّ رجال اللاهوت يجدون في الكمال الإلهي ضماناً واقعياً ضد الأوامر الظالمة، فأَيُّ ضمان نجده في هذا المفهوم التجريدي للعقل المتسامي، اللهم إلا إذا طابقنا بينه وبين العقل الإلهي؟

وبعد تحليل وتدقيق في تتبُّع أزمة التفكير الأخلاقي الغربي بمدارسه يقول الشيخ دراز: " المثل الأعلى للأخلاق القرآنية؛ فالمرء لا يسأل طبيبه الذي يثق به عن أوامره؛ لأنَّ المناقشة هنا هي الارتياح"، (دراز، 1998، ص. 111).

ودفاعاً عن الإرادة الإنسانية الحرّة المستقيمة للإنسان المؤمن يشرح الشيخ دراز مسالك تحليله للوصول إلى فكرة: " إذا كان الشر ينزع حقاً إلى أن يحدث لا محالة، على الرغم منك، فلماذا إذن تستقبله، وتسارع إليه؟ ابق إذن على الأقلّ في مكانك، ودع الطَّبيعة تعمل، ولن تفعل الطَّبيعة شيئاً بدونك، اللهم إلا إذا صار العمل اندفاعياً، أعني لا إرادياً، ولا تبعة فيه ولا مسئولية. (دراز، 1998، ص. 201).

القرآن يذكرنا في مواضع كثيرة أنَّ أكثر نصائح الحكمة إقناعاً، وأقوى دعوات الشرِّ إغراء -لا تحدث أدنى تأثير في سلوكنا، دون أن يكون لإرادتنا انبعاث حر، لتقبلهما أو لرفضهما. والقرآن يقرر على لسان الشَّيْطَان: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: 22)

ويقول: ﴿لَمِنْ شَأْنِكُمْ أَنْ تَقْدَمَ أَوْ تَأَخَّرَ﴾ (37) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدرثر: 37-38)

ينتصر الشيخ دراز)) للإيمان إزاء اصرار الفلسفة الغربية في غالبية مدارسها على معاداة الدين أو تحييده بعيداً عن حياة الناس فيقول: " إن إله القرآن وجميع الكتب المنزلة ليس خالقاً ومشرعاً فحسب، وإنما هو في الوقت نفسه مكافئ عادل. وإذن فمن الواضح الجلي أن مثل هذه المفاهيم يجد فيها التفكير في أشكال الجزاء نمواً أكثر تماسكاً، كما أنّها تقدّم إليه إجابات دقيقة لمختلف المقتضيات والمطالب."

فإذا كان الإنسان الذي يستسلم لأفعاله بأكملها يتحمل نتائجها بأكملها، فأى شيء أكثر عدلاً من هذا؟

ومن ناحية أخرى، نجد أنّ الفعل الإرادي الذي أقرّ الله - سبحانه - به شريعة الواجب، يسير في نفس الفكرة الإلهية مع الفعل الذي وضع الله به المبدأ العام للمجازاة، جنباً إلى جنب: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144)

موقف القرآن من مشكلة الاختيار الحرّ مناقض لموقف " كانت " على خط مستقيم. فالقرآن يضع مقابل حتمية " كانت " في نظام الظواهر - استقلال إرادتنا الكامل بالنسبة إلى أحداث الطبيعة. (دراز، 1998، ص. 341).

في معركته العلمية لإثبات تفوّق الإسلام يلفت الشيخ الانتباه إلى مسألة هامة تستدرج بمنطق وسلسلة كل عقل حرّ ونفس نقيّة وفطرة سليمة: " أخطر الاعتراضات التي تثار غالباً ضدّ الأخلاق الدّينية بعامة ينحصر في القول بأنّها تضرب صفحاً عن الضمير، فردياً كان أو جماعياً، وأنّها تستمدّ كلّ قوتها، وكل سلطانها من إرادة علويّة، خارجة عن طبيعة الأشياء، وأنّها تفرض نفسها بخاصّة عن طريق التّروغيب في الثّواب، والخوف من العقاب الذي قرّره تلك الإرادة العليا وهذا النّقص - في آية حالة من حالاته - لا يمسّ الأخلاق الإسلامية، فالقرآن - كما رأينا - يعلن أنّ النّفس الإنسانية مستودع قانون أخلاقي فطري، نفخ فيها منذ الخلق، والنبي ﷺ يأمر كلّاً منا أن يستفتي قلبه، كيما يعرف ما يأخذ وما يدع بل إن أكثر المذاهب الإسلامية محافظة تتفق على أنّ تسلم للعقل الإنساني مجال خاص في التقدير والتشريع، حين يكون تحديد الخير والشرّ مرجعه

العقل، سواء أكان كمالاً أم نقصاً، وسواء أكان موافقاً أم مخالفاً للفتوة فتلك إذن أرقام تتحدث ببلاغة أكثر من أي تعليل نظري. (دراز، 1998، ص.403).

وينبه الشيخ إلى جزئية محورية في المنظومات الأخلاقية وكيف يقدمها القرآن: " شريعة الضمير -طبقاً للقرآن نفسه- سابقة في الوجود على شريعة الدين الإيجابية، فلقد نفخ الشعور بالخير وبالشر، وبالعدل وبالظلم، في كل نفس إنسانية منذ كان الخلق. أولسنا نشهد في الواقع ظهور الحسن الأخلاقي عند الأطفال ابتداء من عمر التمييز، واستمراره خلال جميع الأعمار، حتى لدى الملاحظة؟ ثم ألسنا نشهد بين المذنبين أنفسهم من يعترفون بذنوبهم، ويأسون عليها دون أن يملكو الشجاعة للتخلص منها، أليس هؤلاء هم الجمهور الغفير؟. لذلك نجد القرآن يذكر المؤمنين بالتزامهم العام، بموجب عقد الإيمان -قبل أن يطلب منهم طاعتهم المخلصة."

"وهكذا لا تكون الصفة الإلهية للأمر القرآني سوى لحظة وسيطة، بين شعورين إنسانيين يستحثهما دائماً". (دراز، 1998، ص.678)

وبدقة شديدة يقطع الشيخ الطريق على أي متربص بالقرآن يتهمه بالقضاء على الحرية الفردية إذ يوضح: " فإن المتأمل في الأخلاق القرآنية لا يجد فقط أن هنالك واجبات أسرية واجتماعية كثيرة قد تركت دون تحديد من الناحية الكمية، وعهد بها إلى تقدير الضمير المشترك، بل إن كل تكليف قرآني يجعل شرط تطبيقه مجموعة من الاعتبارات، تحترم الوسع الإنساني، وتحسب حساب الواقع المادي، والتوافق بين الواجبات. ومن هنا فهو يحول كل ضمير فردي جزءاً من النشاط التشريعي، وهو جزء ضروري لصوغ واجبه المادي في كل لحظة. وأدنى ما يمكن أن نقوله في الأخلاق القرآنية: إنها تكفي نفسها بنفسها على وجه الإطلاق، فهي: أخلاق متكاملة." (دراز، 1998، ص.684).

إذن أخلاق القرآن متكاملة، وعلى المسلمين بناء صرح منظوماتهم الأخلاقية من هذا المنبع، وعليهم عرض كل ذلك بطريقة تصل إلى أهل الاستقامة من كل خلفية، وحتى بين الملحددين الذين كانوا ضحية مرض فتوة لم يجد لدى المتدينين إلا الإدانة والتفوق والاستعلاء، لإخفاء العجز عن الإجابة عن الأسئلة الملحة.

مشروع هانس كونغ المتعثر:

السويسري المعاصر "هانس كينج" المتوفي في 2021 مؤسس مركز الأخلاق العالمية للتأسيس لمشروع السلام العالمي المرتكز على مشترك الأديان.

بدأت أفكاره التوفيقية منذ رسالته للدكتوراه، حيث حاول التقريب بين المذاهب المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت من خلال إعادة قراءة عقيدة التبرير، ثم أسس لمعالم فكرة الوحدة المسيحية عبر كتابه: "الجمع الكنسي والوحدة"، ثم شرع في تقديم أفكار تزعزع ما تتمسك به مؤسسة الفاتيكان خصوصاً عصمة البابا، معللاً ذلك بفكرته البابا للكنيسة. وليست الكنيسة للبابا.

بسّط أفكاره حول المشروع العالمي للأخلاق تحت مظلة الأديان ب:

الصلح بين الأمم والسلام المستتب بينها ضرورة مصيرية.

والسلام بين الأمم بوابته: الصّح بين الأديان.

والسلام بين الأديان لا يتحقق من غير الحوار بينها.

وإمكانية الحوار لن تكون إلا عن طريق معايير أخلاقية كونية فوق الأديان منفردة.

مصير العالم مرتبط بباقة الأخلاق العالمية المستمدة من المشترك بين الأديان.

المشترك هذا لا يمسّ العقائد والأحكام الدينية ضمن ما يفهم من التعددية الدينية (عكس الحصرية الدينية)

لا يرى أن الأديان تسير في طريق موازي للسياسة بل يرى تجسير الهوة بين السياسة والدين بما يخدم مشروعه، فالأخلاق ضرورية في السياسة، واحترام الأخلاق يحتاج إلى دور السياسة.

هدف مشروعه هو الإنسان المجرد الذي تخدّمه القوة الكامنة في الأديان، ولذلك الملحدون

جزء من هدف المشروع حمايتهم وبإمكانهم أن يكونوا جزءاً من المشروع تقوده الأديان.

دخل هذا العالم اللاهوتي الكاثوليكي في صراع مع القائمين على أمور دينه وهو كاثوليكي،

يعني أنّ التراتبية الدينية عقيدة راسخة، حيث يشرف رجال الدين على الكثير من أمور المنتمين إلى المذهب.

مشروعه الأخلاقي الذي عوّل فيه على تحالف المتدينين من مختلف المشارب طرح إشكالا عن الجهة التي يمثّلها هو وهل يسمح له بتمثيلها؟

حاول الاشراف الفكري على مشروع أخلاق كونيّة من باب فلسفة الأخلاق الدّينية، فكانت المبادرة مرهونة بإرادات رجال الدّين من كلّ الخلفيات مع إشكالية شرعيّة التّمثيل من جهة وإمكانية تشكيل جماعة ضاغطة فعليا.

يمكن الرجوع إلى:

Ethique plantaire d un point de vue philosophique :

file:///C:/Users/moise/Downloads/RETM_255_0031.pdf

L'ÉTHIQUE PLANÉTAIRE, D'UN POINT DE VUE PHILOSOPHIQUE Hans

Küng Éditions du Cerf | « Revue d'éthique et de théologie morale » 2009/3 n°255 |

pages 31 à 41 ISSN 1266-0078.

دخل المشروع شخصيّات متديّنة تحاول إيصال صوت الفضائل إلى جميع الفئات وجميع المستويات.

جاء في مقدمة كتاب "أخلاق كونية لثقافات متعددة"، تحرير:

- 1- بيير سيزاري بوري "Pier Cesare Bori" (ت.2012): أستاذ تاريخ الأديان وفلسفة الأخلاق والتّعددية الثّقافية وحقوق الإنسان في جامعة بولونيا بإيطاليا، دّرس القانون وعلم اللاهوت والعلوم الكتابيّة وتاريخ المسيحيّة، وشغل كرسي اليونيسكو للتّعددية الدّينية والسّلام.
- 2- سافيريو مارشينيولي "saverio marchignoli": الأستاذ المشارك في جامعة بولونيا بإيطاليا، متخصص في تاريخ الأديان وفلسفة الأديان، وتاريخ الهند وآسيا الوسطى، واللّغات الشّرقية، دّرس تاريخ حضارة وأديان الهند واللّغة السنسكريتية.

يشرحان المبادئ التي قامت عليها فلسفة الأخلاق الكونية كما يتبنّاها "هانس كينغ" في: قراءة "أفلاطون" و"الباجفاديجيتا" و"كاثّا" و"أوبانيشاد" و"الهامبادا" و"كونفوشيوس" و"لاوتسي" و"سينيكا" و"مرقس" و"الغزالي".

الرّوح أو الفضيلة التي تحويها هذه النّصوص كانت تجعلها سهلة المنال وذات قدرة كليّة شاملة، بغضّ النّظر عن ضعف وإمكانات قارئها.

من الاعتبارات المنهجية التي كان قد تمّ إتباعها هو أنّ الأطروحات التأويلية والنظرية بشكل عام يجب أن تبقى ضمنية حتى النهاية.

ولا يتمّ الإفصاح عنها إلاّ بشكل تدريجي.

وبناء على هذه القاعدة التي تمّ اتخاذها، فإنّ الخاصية والكلية ليستا متضادتين، فالقراءة العلمانية والتقديرية للمصادر التي أسس عليها هذا الإرث الثقافي، إلى جانب الإقرار والمعرفة بالثقافات الأخرى، يجب أن توحى بإمكانية وجود نزعة غير معبّرة عنها وغير قادرة أبداً على تعبير كلي: أي أنّها قد تكون الأساس والقاعدة " لتفاهم أخلاقي بين الثقافات."

والكتاب الذي يشرح المشروع يختار نصوصاً من الأديان والفلسفات الأساسية اليوم، والتي لا يخطئ القارئ الموضوعي في أنّها تصبّ جميعاً في البحث عن التوازن في حياة جميع البشر، لكنّ انتقائها وتفسيرها وتأويلها هذه عمليات علمية حسّاسة ودقيقة لا يمكن تجاوز ضرورة البحث عن منهجية عملها.

وجاء أيضاً في الكتاب في ما يظهر هروباً من مواجهة هذه الإشكالية:

ومع ذلك فإنّ كلّ هذا لا يشكّل محور سياق مادّة الفلسفة الأخلاقي، حيث أنّ الأمر يقوم على قراءة نصوص مذاهب فكرية لحضارات مختلفة، وعلى البحث عن أسس أنثربولوجية تتعلّق بوجهات النظر والمواقف الأخلاقية المتنوّعة لتلك المذاهب.

هذه اللّغة المطاطة تحاول أن تستقطب الناس ذوي الرّغبة في إنقاذ العالم بتديّنهم، وبالتالي اللّغة يجب أن تبعد عن إثارة مخاوفهم من عدم احترام معتقداتهم.

قام القس الكاثوليكي "هانس كينغ" بالدّفاع عن مشروع الإرساء لتحالف أخلاقي عالمي بين الأديان عن طريق إتباعها الحقيقيين، وكان ممن أمضى على الوثيقة الأساسية "الشيخ محمد حميد الله" وشخصيات إسلامية أخرى، كما أنّ القس "هانس كينغ" لا يمثّل الهيئات الكاثوليكية الرسمية التي أوقفته عن الوعظ في الكنائس لنقده لبعض معتقداتها كعصمة البابا وبتولية رجال الدّين.

"هانس كينغ" له كتاب معروف عن الإسلام.

مشكلة الأخلاق الكونيّة يعود إلى الكتاب البرنامج المعنون "مشروع الأخلاق الكونية" في 1990 . ترجم للغة الفرنسية في 1991.

"هانس كينغ" يؤسّس ويبرّر فكرة أنّ الأديان لا يمكنها المساهمة في تحقيق السّلام في العالم إلّا بالحرص على التفكير العميق فيما يشكّل مشتركا في ميدان القناعات والاعتقادات الأخلاقية.

"هانس كينغ" رجل دين وعالم لاهوت، تعرّض لاضطهاد من مؤسسته: "الفاتيكان". حتى في لقمة عيشه فهو اختبر بقسوة غياب أخلاق الاختلاف داخل حاضنته الدّينية المذهبيّة.

ولد "هانس كينغ Hans KUNG" في سويسرا عام 1928م لعائلة كاثوليكية، (مراجعة تاريخ المذاهب في سويسرا مهم حتى تلك الأقليّات التي هاجرت إلى القارّة الأمريكيّة).

درس علوم الفلسفة واللاهوت، عمل أستاذاً لعلوم اللاهوت والعقيدة في الجامعة الكاثوليكية «توبنجن»، اختاره البابا يوحنا الثالث والعشرين في فريق مستشاريه الأساسيين، وفي هذه الأثناء انعقد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ما بين عامي 1962 و1965 وهو المجمع الذي انفتح بعده الفاتيكان على الدّيانات الأخرى ومنها الإسلام، ويرى البعض أنّ "هانس كينغ" كان من الذين دافعوا عن هذه الفكرة بقوة.

اجتهادات "هانس كينغ" في بعض القضايا الأساسيّة سارت ضدّ الآراء الرّسميّة للفاتيكان، الذي رفضها، وعوقب القس "هانس كينغ" خصوصا بنشره للكتاب الهام "معصوماً من الخطأ"، والذي رفض فيه عقيدة عصمة البابا التي ابتدعتها الكنيسة الكاثوليكيّة في المجمع السّابقة، وقال في كتابه: أنّ البابوية وظيفة من ابتكار البشر، أكثر من كونها وظيفة مؤسّسة من قبل الله، ولهذا يمكن إلغاؤها. ونظرا لأفكاره هذه حرم في 1980 من الحقّ في التّدريس في الجامعات الكاثوليكية بعد أن سحبت منه صفة الانتماء العضوي للكنيسة الكاثوليكيّة عام 1979، وقد بقي "هانس" ممنوعاً من زيارة الفاتيكان بالصّفة الرّسمية طوال تولّي البابا يوحنا بولس الثاني لكرسي البابوية. وفي 1995 نشر البابا نفسه كتابه عن قيمة وقدسيّة النّفس البشريّة فقام "هانس كينغ" بالردّ عليه متّهما إياه بكونه ديكتاتورا روحياً يريد تحطيم حرّيّة الضّمير، ويريد إسكات المنشقّين في كنيسته، وفرض منظومته على باقي العالم. وفي عام 1996 توقّف عن التّدريس وواصل دفاعه ونشره لفكرة الأخلاق الكونيّة الذي كان قد بدأه في عام 1993.

يرى كينغ أنّ الأديان المختلفة يجب أن تكون في خدمة الإنسان، ولا يجب أن تكون إلا الأشكال الثّانوية لأخلاقيات إنسانية أي كوثيّة، لأن الله في خدمة الإنسان. (موقعه الرسمي. weltethos.org).

كتب أيضا مؤلفا هامّا بعنوان "أن تكون مسيحيا" شرح فيه منظومة عقديّة خاصّة، جعلت بعض رجال الدّين الألمان يقولون أنّ هانس حوّل المسيح إلى مجرد ممثّل لله، وحدّ من تأثيره. (المفروض المسلمون يهتمون بالأسس التي انبنت عليها هذه الآراء).

يطرح "هانس كينغ" سؤاله المركزي: لماذا الأخلاق العالميّة كسبيل مشترك بين الإنسانية؟ يرى أنّ النّاس يمتلكون طبائع ومصالح مختلفة، وكذلك الأمر بشأن الأمم والدّول بخصوصياتها وأولويّاتها. ولا يمكن بلوغ التّوازن، والحفاظ على السّلام، إلا بالتزام جانب التفاوض السّلمي البعيد عن العنف.

ويركّز على أنّ الخيارات الأكثر أمنا للبشريّة هي الحوار والتّعاون، وتفادي الاصطدام والاعتداء، ويجب التزام قواعد الأخلاق في توجيه الشّؤون السياسيّة الدّاخلية والخارجيّة. وفي تاريخ الإنسانية جهود في تطوير أفكار وممارسات العلاقات الفرديّة والجماعيّة التي تحقّق الحياة الكريمة والمتطوّرة للأفراد والمجتمعات.

ففي كلّ الثقافات مقاييس أخلاقيّة أساسيّة لتحقيق ذلك. وتوجد تلك المقاييس في الفلسفات والأديان على مرّ تاريخ البشريّة، وتبلورت نتيجة ذلك منظومات وتراتب لتتحقيق تلك المقاصد.

ولأنّ التّعايش قدر النّاس عبر العصور، انتبه العقلاء خصوصا، زمن اتّساع مظاهر التّعديّة الدّينية إلى أنّ احتكار التشريع الأخلاقي من فلسفة أو دين أو أيديولوجيا بعينه لكل المجتمعات، غير مقبول وغير ممكن التّحقق.

في ديننا الإسلام لا إشكال في الأمر، فالله الخالق والعليم، منزّل الدّين الخاتم والمهيمن، جعل أحكاما لغير المسلمين تحفظ لهم كرامتهم وتيسّر لهم التّعايش، وليس غريبا أن يعترف أتباع الأديان الأخرى بأن مراحل الحكم الإسلامي لبعض المجتمعات الإسلاميّة، كانت أرحم من حكم المسيحيّين المستعمرين لهم وهم من ملّة واحدة.

"هانس كينغ" وتياره يرون الحلّ الضروري في البحث والتنقيب الدقيقين عن المبادئ المشتركة والقيم المتفق عليها في مختلف الفلسفات والديانات، ونشر الوعي بأهمية التوافق من أجل خير الجميع.

الضمان لما سبق هو الشعور بأنّ هذه المبادئ متأصلة في تراث الجميع، فيضحي التفاهم والتعاون والسلام أركاناً أساسية يدافع الجميع عنها.

بناء على ما سبق يصبح اسم هذه الأخلاق العامة: الأخلاق العالمية لتحقيق الازدهار والعدالة والأمن والسلام.

ويفصل "هانس كينغ" بأدوات تنفادي الصدام مع معتقدات الناس: "ماذا تعني الأخلاق العالمية؟" في العام (1990م) قدّمت في كتابي "المسؤولية العالمية" تأملاتي بشأن الأخلاق العالمية، للجمهور العام. وفي ذلك الكتاب قلت أنّ الأديان في العالم تستطيع تقديم إسهام لسلام الإنسانية إذا أمكن لكلّ منها أن تتأمل في المشترك بينها، وأن تصل من خلال ذلك إلى إجماع بشأن القيم الملزمة، والمقاييس المحكمة، وأنماط السلوك الأساسية. ثم تقدمنا خطوة واسعة من طريق برلمان الديانات العالمية المجتمع بشيكاغو عام (1993م)، وقد شارك فيه خمسة آلاف عضو. وفي المؤتمر وقّع أكثر من مائتين من أتباع الديانات والثقافات المختلفة بياناً أو إعلاناً للأخلاق العالمية. وكنت قد صغت مسودته في مشاورات مكثّفة. ومنذ ذلك المؤتمر صار الإعلان هو الأساس في تطوير فطرة الأخلاق العالمية:

1. لا سلام بين الأمم بدون سلام بين الأديان.
 2. ولا سلام بين الأديان بدون حوار بين الأديان.
 3. ولا حوار بين الأديان ولا إنقاذ للكرة الأرضية بدون أخلاق عالمية.
 4. أخلاق عالمية: مدعومة من المتديّنين وغير المتديّنين
- لقد صاغ مؤتمر شيكاغو المعالم العامة للأخلاق والأديان في مبدئين اثنين:

مبدأ الإنسانية: فكل كائن بشري يجب أن يعامل بإنسانية.

وفي التطبيق: في كل دين وثقافة مبدأ آخر أو قاعدة أخرى هي القاعدة الذهبية للتعايش بين الناس، وهي تقوم على التكافؤ أو التبادل: فما لا ترغب أن يعاملك به الآخرون، عليك أن لا تحاوله مع الآخرين.

وهذان المبدآن يؤدّيان إلى توجهات أربعة في شتى مجالات ووجوه الحياة والعيش:

1. الالتزام بثقافة اللاعنف واحترام الحياة.
2. والالتزام بثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل.
3. والالتزام بثقافة التسامح وحياة الحقيقية والثقة.
4. والالتزام بثقافة الحقوق المتساوية والشراكة بين الرجال والنساء.

وبناءً على إعلان شيكاغو، جرى تحديد فكرة الأخلاق العالمية في اتجاهات مختلفة.

ويمكن في هذا الصدد ذكر الوثائق التالية على الخصوص:

- 1997م مقترح من جانب رؤساء الدول السابقين من أجل إعلان عالمي للمسؤوليات الإنسانية.
- 1999م نداء إلى المؤسسات القائمة من جانب البرلمان الثالث للديانات العالمية في "كيب تاون".
- 2001م بيان الحوار بين الثقافات بعنوان: (جسد الانقسام)، وقد أنجزته (مجموعة الشخصيات السامية) التي اجتمعت بدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة "كوفي أنان" للعام (2001م)، وهي السنة العالمية للحوار بين الحضارات.

وجاء في وثائق المؤسسة: "وقد عملت مؤسسة الأخلاق العالمية المنشأة بـ "توبغن" عام (1995م) بقوة ونشاط من أجل المساعدة في الوصول إلى ذاك التغيير في مختلف المجالات؛ وذلك من طريق التثاقف والحوار بين الأديان والتربية واللقاءات، وعلى المستويين الوطني والعالمي.

المتأمل لهذه الفقرات يستشف لغة أدبيات المعاهدات والإعلانات الخاصة بحقوق الإنسان والسلام العالمي، وهي مصاغة بلغة تبدو حيادية ولكنّها في العمق لغة العاجزين عن إيجاد وسائل حقيقية للإقناع، أو لفرض هذه المبادئ. كما أنّ البحث عن إرضاء الجميع قد ينقّر هؤلاء جميعا عندما يحكمون على أنّها مجرد نشاط هامشي ترفي أمام ما يحدث على أرض الواقع. تكفي الإشارة إلى أنّ الاعتداءات على حقوق الإنسان والأمم في داخل المجتمعات وعلى النطاق الدولي يشرعنها ويباركها بعض رجال الدين الذين لا يتأخرون أحيانا كثيرة على ادعاء الصلة المباشرة بين المعتدي على الحقوق والله نفسه. (كينغ، 2015، تر، عيد). و(كونغ، 1998، تر، معلوف عساف).

كان هناك من حاول المساعدة على نشر الفكرة مثل: تدين مؤسسة الأخلاق العالمية في نشأتها إلى الكونت "فون در غروبين" (Groeben) المتبرع بمبلغ مالي كبير للمؤسسة كوقف، وهو الذي ساعد "هانس كونغ" على اخراج مؤسسته للوجود بهيكل إداري وإعلان تدشينه هو: الإعلان من أجل أخلاق عالميّة والذي أصدره برلمان الأديان العالميّة. وتعمل المؤسسة في ثلاثة مجالات:

تشجيع الحوار والتواصل الثقافي والديني والعمل على تجسيده على أرض الواقع عن طريق البحث في المصادر والمراجع الدينيّة واللاهوتيّة عن التّأصيل لفكرة المشروع .

وعن طريق تشجيع البحوث والدراسات في نفس الاتجاه عبر الكتب والمقالات والبحوث الأكاديميّة.

تشجيع النّشاطات واللقاءات المشتركة ذات الطّابع الديني والثقافي.

الحرص على انجاز برامج تعليميّة مشتركة تنشر فكرة المؤسسة وتبيّن أهميّتها.

المحاضرات العامّة واللقاءات: من مصادر تتبّع أفكار "هانس كونغ" لقاءاته الصحفيّة التي تتجاوز الأسئلة السّطحيّة.

نشر افكار المؤسسة في المدارس والجامعات عن طريق المعارض واللقاءات المباشرة في عين المكان وتنظيم ورشات عمل لشرح افكار المؤسسة.

ويكون كل ما سبق على النّطاق المحلي والعالمي.

استعمال وسائط التواصل الحديثة.

في قائمة أوائل الممضيين على ميثاق المؤسسة نجد ممثّلين عن الإسلام وممثّل عن البهائيّة.

نجد "لويس فرخان" والدكتور "محمد حميد الله" والإيراني "سيد حسين نصر"، وهناك أسماء إسلامية دون دقّة في مذهبها أو اتجاه أفكارها.

Tan Sri Dato .Seri Ahmad Sarji bin Abdul-Hamid, Dr. Qazi Ashfaq Ahmed, Hamid Ahmed, Mazhar Ahmed, Hon .Louis Farrakhan ., Hamid Abdul Hai, Mohammed A. Hai ,Dr. Mohammad Hamidullah (, Dr. Aziza al-Hibri, Dr. Asad Husain, Dato Dr. Haji Ismail bin Ibrahim ,Dr. Irfan Ahmat Khan, Qadir H. Khan, Dr. Abdel Rahman Osman. Chiite : Prof. Seyyed Hossein Nasr. Sunnite : Imam Dawud Assad, Imam Warith Deen Moha .,mmed, Hon. Syed Shahabuddin

"هانس كونغ" والإسلام:

أصدر "هانس كينغ" كتاباً تحت عنوان: "الإسلام رمز الأمل". القيم الأخلاقية المشتركة بين الأديان. يتحدث عن القيم الأخلاقية المشتركة في الأديان ويقول فيه أنه يختلف كلياً مع ما نشره "صمويل هنتنجتون" عن صدام الحضارات الذي لم يفهم الكثير عن الأديان. ويؤكد "كونغ" أنّ اكتشاف الأخلاق الكونية يساعد في إيجاد معايير للحياة، وهذه الأخلاق موجودة في كلّ التقاليد الإنسانية، ممّا يعني أننا لسنا في حاجة لأن نعيد اختراع أخلاقنا، ولكن يمكننا فقط أن ننظر بعمق في تقاليدنا الإنسانية القديمة.

ويرى أيضاً أنّه بالرغم من الاختلافات العميقة التي نجدها في الأديان، تبقى المعايير الأخلاقية واحدة بشكل أساسي.

ويؤكد "هانس كينغ" أنّ هناك أربعة توجيهات موجودة في التقاليد المختلفة:

الأول هو التوجيه القديم بعدم القتل: لا للقتل العمدي، لا تعذب، لا تصب أحداً بجروح. والثاني: لا تسرق أو تستغل أو ترتش أو تفسد. والثالث: وهو يعد أمراً هاماً بشكل خاص للسياسيين، ألا نكذب، ألا نخدع، ألا نزيّف، ألا نتلاعب، أخيراً: ألا تستغل جنسياً، لا تغش، لا تدل، لا تهن، بصورة أخرى "أن يحترم ويجب كل منا الآخر.

وبضيف أن الجميع يقرّ بما اعتبره "المهاتما غاندي" الخطايا السبع للإنسانية، والتي يمكن التغلب عليها على أساس الأخلاق الكونية:

1. السياسة بدون مبادئ.

2. الثروة بدون عمل.

3. الاستمتاع بدون ضمير.

4. المعرفة بدون شخصية.

5. الأعمال بدون أخلاقيات.

6. العلم بدون إنسانية.

7. الدين بغير تضحية.

"هانس كينغ" يوضح أنّه يكتب عن الإسلام ضمن مشروعه، وبالتالي هو يطعم كتابه هذا بالكثير من أفكار مشروعه، ويتحدّث عن رؤية البعض للمسلمين وكأنّهم يحملون بداخلهم عنفا محتملا بسبب انتمائهم للإسلام، بينما يُنظر إلى المسيحيّين بوصفهم مسلمين لا يمارسون العنف ويحملون الحبّ في قلوبهم وتصرفاتهم، ويعتبر "كونغ" أنّ هذا مثير للسخرية والصّحك لأنّ الأصوليّة الدّينية تهدّد الكثير من الدّول يهوديّة ومسيحيّة وإسلاميّة وهندوسيّة وبوذية. وهذه الأصوليّة مرتبطة في جذورها في الغالب بالفقر والمآسي الاجتماعيّة، وقد تكون ردّ فعل ضدّ العلمانيّة الغربيّة التي تحول بين النّاس والحياة الكريمة.

يرى "هانس كينغ" أنّه هؤلاء الذين يحملون الإسلام مسؤوليّة الخطف والهجمات الانتحاريّة والسيارات المفخّخة وقطع الرؤوس يتجاوزون على حقيقة ناصعة، وهي أنّ هذه الجرائم تقترب من عدد قليل من المتطرفين، لكن من الضّروري أن يدينوا المعاملات غير الإنسانيّة في بلدان الحكومات اليهوديّة والمسيحيّة والهجمات البريّة والجويّة التي يرتكبها الجيش الأمريكيّ، مخلفا وراءه آلاف القتلى وأكثر منهم جرحى ومشرّدين، كما حدث في العراق وما يرتكبه جيش الاحتلال في فلسطين.

يقرّ "هانس كونغ" أنّ الإسلام مصدر هام لمبادئ مشروع الأخلاق الكونيّة، مؤكّدا على أنّه بالرغم من سوء استخدام الإسلام من قبل البعض، فالإسلام يستطيع أن يمنح دفعا للأخلاق العالميّة.

قدّم اللاهوتي القس الكاثوليكي "هانس كونغ" إذن فكرة من أجل تحالف بين المتديّنين وحتى غير المتديّنين، بالاعتماد على قيم السّلام الموجودة في الأديان والفلسفات، لتحقيق السّلام والفضائل.

هل المشروع غير مسبوق من حيث الفكرة وطموح الانجاز؟

هل المشروع استفاد من الأفكار السّابقة التي تحمل نفس النّيّة وتجاوز ما أعاق تحقيقها على أرض الواقع.

هل الإنسان في زماننا نضج وعيه، وقرّر التنازل عن جزء من أنانيّته لصالح حدّ أدنى من التعايش السّلمي؟

هل فعلاً الأديان مازالت قادرة على فرض قيم بعينها، والعالم يشهد اليوم فضائح استغلال بعض رجال الدين لمواقعهم في المؤسسات الدينية لارتكاب أفظع الجرائم وقضايا اغتصاب الأطفال في بعض الكنائس الكاثوليكية عبر العالم خير شاهد.

المسلمون جزء مما يحدث في العالم ذواتا وموضوعا، وأصبحت وسائط التواصل الاجتماعي تربط بين البشر من مختلف الخلفيات مما يؤكد على أنّ الانغلاق على الذات بات مستحيلاً.

طه عبد الرحمن صوت مفكر مسلم، تحدّث عن مشروع الأخلاق العالمية في محاضرة بعنوان: "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها" حيث اعتبر أنّ الركائز الأربعة للإعلان من أجل أخلاقيات عالمية، الذي صدر عن المؤتمر العالمي الثاني للأديان ناقصة، لعدم تنصيبها علي ركيزتي الإيمان والعمل.

وأضاف طه عبد الرحمن أنّ الإعلان أقام مبادئه الأخلاقية علي أربع ركائز هي ضرورة: الأخلاق العالمية والحاجة إلى تغيير الضّمائر ومطلب المعاملة الإنسانية، فضلاً عن التوجيهات الأربعة المتمثلة في الالتزام بثقافات المساواة واحترام الحياة والتضامن، والنظام الاقتصادي العادل، والتسامح والصدق في الحياة، والمساواة في الحقوق والشراسة بين الجنسين.

واعتبر طه عبد الرحمن أنّ النظر في مفهوم الأخلاق العالمية يقتضي التمهيد ببيانين أحدهما مفهومي، والآخر تاريخي، مفرّقاً في ما يخص البيان الأوّل بين مفهوم الأخلاقيات العالمية التي تتّصف بكونها ذات طبيعة عملية، ومصادر متعدّدة وتوجّه دين، وبين مفهوم يتناول الأخلاق الإنسانية، التي ربّ المفكّرون والفلاسفة قواعدها علي أساس أنّها موضوعيّة، يلتزم بها كل فرد أراد الاستقامة أو السعادة؛ وتتميز علي خلاف الأولي بأنّها نظريّة في طبيعتها وأحادية في مصدرها وعلمانيّة في توجّدها، أمّا في ما يتعلّق بالبيان الثاني، فقد أوضح المحاضر أنّه يتعلّق بالظروف التاريخية التي تبلور فيها هذا المفهوم.

واعتبر أنّ القيم التي توصّل إليها واضعو الإعلان أقلّ ممّا يلزم، إذ أنّ كتاب "هانس كونغ": "مشروع الأخلاق العالمية: السلام العالمي طريق السلام بين الأديان" الذي اعتمد أساساً للمؤتمر، أورد صيغة لا سلام في العالم دون سلام بين الأديان، ممّا قد يتضمّن شبهة اعتبار الأديان وحدها سبب الصّراعات في العالم فيما لا تصفو في الحرب الأسباب الدينية. و اعتبر طه عبد الرحمن أنّ حرص الإعلان علي استرضاء غير المتديّنين دفعه إلي عدم إرضاء المتديّنين، ممّا أضعف حجّته

وقلّص فائدته، وحال دون مسعاه إلى التّقدّم بالخلقية العالميّة، كما لم يستوف غرضه في الرقي بالأديان مجتمعة. www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=3158

ومؤلفات "هانس كينغ ككتاب: "مشروع أخلاقي عالمي - دور الدّيانات في السّلام العالمي" - الذي عزّبه عن الألمانية "جوزيف معلوف" وأورسولا عسّاف، وراجعه يوسف عسّاف، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، عام 1998م. وكتاب "لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ آين والأخلاق في عصر العولمة" -، ترجمه ثابت عيد، المركز القومي للترجمة الجزيرة-القاهرة، ط1، عام 2015م.

خاتمة

فطرة الله موزعة بالعدل بين كل البشر وبعضهم تناغم معها والبعض الآخر خافها. المسلمون مطلوب منهم عقديا الالتزام بشروط الاستخلاف وبأمانة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهم اليوم بعيدا عن المواقع التي توجّه العالم، لكنّهم موجودون ولن تسقط عنهم فريضة الدّعوة.

في هذا العالم الذي سيطر فيه أصحاب المصالح يوجهون المؤسسات الكبرى بما فيها الدّينية والأخلاقية لما يضمن لهم احتكار الخيرات واحتكار القرارات المصيرية التي تهم البشرية. الأخلاق باعتبارها قوانين مرجعيّة للسلوك، اجتذبتها نفس أعراض احتكار المصالح والقرارات فكانت البحوث الفلسفية انعكاسا لكل هذا. إذن تحرير الدّراسات الفلسفية من الاتجاهات المنافية للفطرة أوّل شرط للنّهضة الأخلاقية.

وباعتبار عموم البلوى على المسلمين المساهمة عبر أية واجهة في انقاذ العالم من الانحدار الأخلاقي في انتظار استرجاع دورهم.

التّدين حاجة أصيلة في الإنسان، فالمتديّنون هم المعولّ عليهم في تحقيق التّوافق الفطري في حياة التّاس.

الأديان تعرّضت للتّحريف، وبعضها أنشأ أشخاص بحثا عن الرّعامة، فالبوصلة السّليمة اليوم هي الإسلام.

الشيخ العالم الدكتور محمد عبد الله دراز قدّم النموذج النظري والتطبيقي لتحقيق الشهادة الفكرية. هانس كينغ رجل دين وعالم لاهوت، خرج إلى الناس مشحناً بصراع عقدي مع مؤسسته الدينية معوّلاً على متديني العالم المساهمة معه في استرجاع رشد الإنسان. القضية العادلة تحتاج إلى أشدّاء يدافعون عنها ومن غير المسلمين إذا استرجعوا وعيهم لمثل هذه القضية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار الثقافة، الدوحة، 1405هـ/1985م
 2. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1998.
 3. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليلي مقارنة، تر، محمد عبد العظيم علي، مر السيد محمد بدوي دار القلم، الكويت، 1404هـ/1984م.
 4. هانس كينغ، القيم الأخلاقية المشتركة للأديان: الإسلام رمز الأمل، دار الشروق، القاهرة، 2007
 5. محمد محمد طاهر شبير: علم الأخلاق النظرية والتطبيق، منشورات دار ومكتبة الهلال، 1978
 6. فائزة أنور شكري، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
 7. مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت
 8. محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
 9. محمد يوسف موسى، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية، مطبعة الرسالة، 1945
 10. وليام ليلي، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة ونقد وتعليق د. علي عبد المعطي محمد، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت
 11. إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم ، تر عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت
 12. عبدالرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976.
 13. علي زيغور، الحكمة العملية أو الأخلاق والسياسة والتعاملية، دار الطليعة، بيروت، 1988.
 14. جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 2005
 15. موقع هانس كينغ:
- <https://www.weltethos.org/en/about-the-foundation/hans-kueng>
16. Hans KUNG :l'éthique planétaire d'un point de vue philosophique in :revue d'éthique et de théologie morale no,255 :3/2009
 17. Hans KUNG Les religions au service de la paix, Éditions du Cerf-Novalis, 2010
 18. Hans KUNG Projet d'éthique planétaire. La paix mondiale par la paix entre les religions, traduit de l'allemand par Joseph Feisthauer, Paris, Le Seuil, octobre 1991.
 19. Le dossier Hans KÜNG : documentation sur les efforts faits par la Congrégation Pour La Doctrine De La Foi et la Conférence épiscopale allemande pour parvenir à un éclaircissement objectif des opinions controversées du professeur Küng (Tübingen), Paris éd. Fayard coll. Communio